الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الانسانية

علاقة المتصوفة بالفقهاء خلالالعهد الموحدي

(524 – 686هـ / 1130- 1269م)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين

- بلول عبد الكامل
- غنابزية سليم

اشراف الاستاذ::

د. البشير غانية

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
عبد الحميد العابد	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
البشيرغانية	أستاذمحاضرأ	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
سليم الحاج سعد	أستاذ مساعد أ	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

سورة إبراهيم الأية:7

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعونه تم إنجاز هذا العمل

والحمد لله المهيمن دائما*** حمدا يلقح فطنتي وجناني.

بعد إنجازنا لهذا البحث لايسعنا الا ان نتوجه بالشكر والعرفان الي كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث، ونخص بالذكر الاستاذ المشرف: **البشير غانية**، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة ونصائحه الرشيدة فقدم لنا ما يلزم هذا العمل من أقوالا وأعمالا لإنجازه، أطال الله عمره ونفع بعلمه غيره.

كما نتقدم بالشكر إلى لجنة أعضاء المناقشة كل واحد بإسمه، وإلى كل أساتذة كلية العلوم الإنسانية بجامعة الشيهد حمه لخضر بالوادي، وفي مقدمتهم أساتذة تاريخ الوسيط، الذين كانوا لنا أباء خلال مشوارنا الجامعي.

إلى كل من لم يبخل علينا بالنصيحة في مجال العلم والبحث.

إهداء

إلى بسمة الحياة، وسر والوجود، ومنارة البيت، الذي كان دعائها سرا في نجاحي:

"أمي الحنون" أطال الله في عمرها وزودها الصحة والسلامة.

إلى الذي أفنى حياته كادحا في دروب الحياة من أجل إسعادي وتربيتي، والذي أفتخر به في كل مجلس: **"أبي الغالي"** أطال الله في عمره.

إلى أخوتي وأولاد اختي وزوجها.

إلى جميع أصدقائي كل بإسمه وأخص بالذكر الاستاذ **خير الدين بلول** الذي كان نعم المعين الذي نصحني بمواصلة مساري العلمي.

إلى طلبة الاقامة الجامعية موساوي مبرك بالوادي.

إلى كل من إجتمعت بهم في مجال البحث العلمي.

إلى أساتذة التاريخ بالوادي ,اخص بالذكر **الأستاذ البشير غانية، وعمار غرايسة، وعلال بن عمر وأحمد بن خيرة وحميد زيدور والسعيد عقبة وفاتح الباهي**.....والذين ستجمعنا بهم لحظة المناقشة **الأستاذ عبد الحميد العابد، والأستاذ الحاج سعد سليم.**

إلى دفعة الماستر تاريخ الوسيط 2019م وفي مقدمتهم زميلي في البحث سليم غنابزية، أنور بن عماره، أحمد فايزي وعكاشة محدة وإبراهيم مصباحي، محمد العربي ذياب، وليد كاكي....

إلى كل من لم اجد لهم متسعا في هذا الاهداء.

عبد الكامل بلول

إهداء

إلى نبع الحنان التي بحبها غمرتني، ومن دعواتها ملأتني، وبحنانها وعطفها زودتني، فكانت نبراسا في حياتي، إلى من تملك الجنة تحت اقدامها، يعجز اللسان عن شكرها، وتبقى غلاوتها ولا تفنى، فكانت خير قدوة لي **" أمي الغالية "** أطال الله بقائها.

إلى الحبيب الغالي، الذي كان نورا لي في دربي، الذي لم يبخل عليا يوما من عطائه، وبتشجيعه وبدعمه غمرني، الذي سقى اللقمة بالعرق قرة عيني **" أبي العزيز"** حفظه الله ورعاه.

إلى بهجة البيت وسروره ... أخوتي الاعزاء كل واحد بإسمه.

إلى من تجمعني بهم صلة الرحم... **جدي وجدتي أعمامي وعماتي أخوالي وخالاتي أبنائهم وبناتهم.**

الى اصدقائي الذين جمعتني بهم الحياة، وزملائي الذين جمعني بهم مشواري الدراسي.

إلى من رسمت اسمائهم وذكرياتهم على صفحة قلبي وذاكرتي ولم أذكرهم في عملي هذا.

سليم غنايزية

قائمة المختصرات

المختصر	دلالته
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
م	ميلادي
هـ	هجري
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د،ط	دون طبعة
مر	مراجعة
تق	تقديم
شر	شرحه

مقدمة

مقدمة

كان لظهور دولة الوموحدين وقيامها أثر بالغ ودور كبير في الغرب الإسلامي، إذ تميزت بجملة من الأحداث التي كان لها أثر في صفحات التاريخ،اذ تمكنت من تكوين كيانا اجتماعيا قويا على رغم من اختلاف التركيبة البشرية وفئات المجتمع المكونة للمجتع الموحدي.

ومن العناصر البشرية والفئات المجتمع المركبة للمجتمع الموحدي،نجد فئة المتصوفة وفئة الفقهاء، هاتين الفئتين اللتان كانت لكل واحدة منها رؤية ووجهة نظر تخالف الفئة الأخرى، وقد تطورتا هاتين الفئتين نتيجة للخدمات التي قدمتاها سواء في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي الذي عرفته الدولة الموحدية.

ومن خلال ماتم ذكره سنحاول تسليط الضوء حول **علاقة المتصوفة بالفقهاء خلال العهد الموحدي** وإزلة بعض الغموض عليه.

أسباب اختيار الموضوع

كان من دوافع اختيارنا للموضوع حب الرغبة والاطلاع في تاريخ الغرب الاسلامي والتعرف على صفحة من صفحاته، فأغلب الدراسات مهتمة بالجانب السياسي مغفلة الجوانب الأخرى التي لاتنقصه أهمية كالجانب الاجتماعي، الثقافي...، وهذا ما دفع بنا إلىالتركيز على الجانب الفكري والاجتماعي في تاريخ الغرب الإسلامي، وفي الحق لقد اهتمت بعض الدراسات بعلاقة المتصوفة بالسلطة و لكنها أهملت علاقة المتصوفة بالفقهاء.

ودفعناأيضا لهذا الموضوع الرغبة في التعرف على جانب من جوانب من الحياة الاجتماعية للدولة الموحدية إذ تعتبر دولة الموحدين من الدول الكبرى التي شهدها الغرب الإسلامي.

طرح الاشكال

يحاول البحث الإجابة عن الاشكال التالي: كيف كانت علاقة المتصوفة بالفقهاء خلال العهد الموحدي؟

ويتفرع عن هذا الاشكال الرئيس جملة من الأسئلة الفرعية المتعلقة به تعلق المخدوم بالخادم:

- كيف كانت علاقة السلطة الموحدية مع المتصوفة؟
- كيف أثر المتصوفة في أفراد المجتمع الموحدي؟
- كيف كانت علاقة السلطة الموحدية مع الفقهاء ؟
- ماذا قدمت فئة الفقهاء لأفراد المجتمع الموحدي؟
- في ما تكمن نقاط الإختلاف ونقاط التقارب بين المتصوفة والفقهاء؟

الدرسات السابقة

ومن الدرسات السابقة التي تناولت جانبا من هذا الموضوع نجد:

- بن عياش الطاهر: الفقهاء المالكية والسلطة الموحدية في المغرب الإسلامي، وقد تناول في عمله مكانة الفقهاء عند الخلفاء الموحدين ومظاهر العلاقة بين الفقهاء والخلفاء.

أما تلك الدرسات التي تحدثت عن لب الموضوع نجد:

- لخضر بولطيف في كتابه الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية، وتحدث فيه عن علاقة المتصوفة بالفقهاء.

المنهج المتبع

وقد تم الاتكاء في هذا البحث على:

المنهج التاريخي الأسترادادي: وذلك من خلال سرد وتتبع الأحداث التاريخية خلال الحقبة الموحدية.

المنهج التحليلي: واستعملنا هذا المنهج في ما يتعلق بعلاقة المتصوفة مع السلطة والعامة، وكذلك بعلاقة الفقهاء مع السلطة والعامة، وعند حديثنا عن العلاقة بين المتصوفة والفقهاء.

المنهج الوصفي: وذلك عند تتبعنا للوقائع التاريخة في العهد الموحدي، كثورة ابن قسي وابن هود الماسي ومحن الفقهاء.

الخطة:

ولبلوغ الغاية المنهجية تم اتباع خطة،قسمت إلى فصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة، وأسبقناها بمقدمة وضحنا فيها متعلقات البحث.

ضمت المقدمة التعريف بالموضوع واتباع شكل هرمي أي من العام الى الخاص، وطرحنا تسؤلات حول الموضوع وأسباب اختيار الموضوع والدرسات التي تناولت الموضوع، ومن بعدها المنهج المتبع، ثم ثم جاء الفصل التمهيدي بعنوان:تأصيل مصطلح التصوف والفقه والذي حاولنا فيه ازاحة الغموض حول اشتقاق كلمة التصوف والفقه، اما الفصل الاول فكان بعنوان:علاقة المتصوفة بالسلطة والعامة، وتناولنا فيه مبحثين: اما المبحث الاول بعنوان: علاقة المتصوفة بالسلطة، وقمنا فيه بعرض علاقة التقارب والتنافر بين المتصوفة والسلطة، اما المبحث الثاني فكان بعنوان: علاقة المتصوفة بالعامة، وتعرضنا فيه الى كيفة تعامل المتصوفة مع المجتمع وادورهم فيه، اما الفصل الثاني فكان بعنوان: علاقة الفقهاء بالسلطة والعامة، وينقسم كذلك الى مبحثين اما المبحث الاول فكان بعنوان: علاقة الفقهاء مع السلطة، وتطرقنا فيه الى مواطن الاتفاق ومواطن التعارض بين الفقهاء والسلطة، واما المبحث الثاني فيحمل عنوان: علاقة الفقهاء مع العامة، اما الفصل الثالث فكان بعنوان: علاقة المتصوفة بالفقهاء، وقسمناه الى اثنين، اما الاول تناولنا فيه نقاط الاختلاف بين المتصوفة والفقهاء، وعرضنا فيه العلاقة التنافرية بين الفئتين ، واما الثاني تطرقنا فيه الى نقاط التقارب وحولنا فيه معرفة نقاط التقارب بين المتصوفة والفقهاء.

عرض المصادر: ومن اهم المصادر الي اعتمدنا عليها في انجاز موضوعنا هي:

أولا: كتب التصوف:

– التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي: لمؤلفه ابن الزيات ابي يعقوب يوسف يحي التادلي(ت617هـ/1220م) وهو من الكتب المعتمد عليه في طيات البحث، ويعتبر من أهم الكتب فبي التصوف، حيث ترجم فيه ابن الزيات الى 277صوفيا مع فصل يخص فيه بذكر ابو العباس السبتي واخباره.

– المستفاد في مناقب العباد لمدينة فاس وما يليها من البلاد: لصاحبه ابي محمد بن عبد الكريم الفاسي(ت603هـ/1207م) حيث ذكر فيه العديد من رجال التصوف الذين عاصروا دولة الموحدين.

– عنوان الدراية فمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية: لابي العباس احمد الغبريني (ت714هـ/1314م) حيث ذكر فيه الغبريني رجال المتصوفة الذين ببجاية، وذكر فيه 108 صوفيا وعلى رأسهم ابو مدين شعيب، وقد استفدنا منه حول ترجمة لبعض المتصوفة الذين ذكروا في الموضوع.

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج لمؤلفه احمد بابا التنبكتي: وهو من المصادر المعتمد عليها في هذا البحث، وكذلك قدم لنا مجموعة من المتصوفة المذكورين في طيات الموضوع.

الكتب التاريخية

– الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس: لأبن أبي الزرع الفاسي (ت720هـ/1325م) وهو كتاب مهم في الجانب السياسي للدولة الموحدية، اذ ذكر فيه المؤلف فترات خلفاء الموحدين والاحداث الواقعة في زمنهم.

– العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر: لعبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/1406م) وقد أفردنا فيه تعريف التصوف والفقه من الناحية الاصطلاحية، وكذلك استفدنا منه في تلك المعلومات التي تختص بالدولة الموحدية.

– البيان المغرب في اختصار ملوك المغرب والاندلس: لصاحبه ابن عذارى المراكشي (ت695هـ/1295م) وهو مقسم الى اربعة اجزاء، واسستفدنا منه في تلك المعلومات التي تخص الوحدين.

– المعجب في تلخيص اخبار المغرب: لمؤلفه عبد الواحد المراكشي وقد اعتمدنا عليه في بحثنا فهو يدرس الفترة الموحدين والاحداث التي وقعت لهم في زمنهم بالتفصيل.

الكتب الجغرافية

– الروض المعطار في اخبار الاقطار: لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ/1300م) وله اهمية في المعلومات التي يحتويها، واستفدنا منه في التعريف في بعض الاماكن بالمغرب و الاندلس.

– معجم البلدان: للحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626/1229م) افدنا في تعريف ببعض الاماكن الجغرافية التي التي تشمل الغرب الاسلامي.

– نزهة المشتاق في اختراق الافاق: للادريسي ابن عبد الله محمد (ت562هـ/1121م) ويعتبر من اهم الكتب الجغرافية حيث يعطي الادريسي وصفا دقيقا للاماكن الجغرافية وحدودها.

أما بالنسبة للمراجع التي اعتمدنا عليها:

– الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية: لمؤلفه لخضر بولطيف، حيث تحدث الكاتب عن الفقهاء خلال العهد الموحدي وذكر فيه العلاقة بين المتصوفة والفقهاء.

– التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 هجريين/ 12-13 ملاديين: لطاهر بونابي، وهو مرجع مهم في هذه الدراسة واعتمدنا عليه في جوانب مختلفة من بحثنا.

– الاستقساء في اخبار المغرب الاقصى: لصاحبه ابو العباس أحمد بن جعفر الناصري، حيث قدم لنا هذا الكتاب محطات مختلفة في تاريخ دولة الموحدين التي خدمت موضوعنا.

الصعوبات:

واذا تحدثنا عن الصعوبات فإننا لانخرج عن تلك الصعوبات التي تواجه اي باحث اكاديمي، ولكن من الصعوبات التي وجهتنا في مسار بحثنا منها: عدم التمكن من الحصول على بعض المراجع التي تخدم البحث، إذ أننا نجد أن معظم الدراسات اهتمت بالجانب السياسي مقارنة مع تلك الدراسات الي اهتمت بالجانب الاجتماعي، والجدير بالذكر أن الدراسات التي تناولت موضوع التصوف في العهد الموحدي لم تحمل عناوين علاقة المتصوفة بالفقهاء، وجلها كانت علاقة المتصوفة بالسلطة في العهد الموحدي، ومن هنا يتبين غياب دراسة معمقة حول العلاقة بين فئة المتصوفة وفئة الفقهاء خلال حكم الموحدين، وعلى الرغم من هاته الصعوبات نرجوا ان يكون هذا العمل قد ازاح بعض الغموض حول علاقة المتصوفة بالفقهاء وفتح المجال امام الباحثين لدراسة مثل هاته المواضيع.

الفصل الأول

تأصيل المصطلح

(التصوف والفقه)

1- التصوف.

2- الفقه.

الفصل التمهيدي: تأصيل المصطلح (التصوف والفقه)

1- التصوف

أ) التعريف اللغوي

إختلفت آراء العلماء حول التعريف الحقيقي الأصلي لكلمة التصوف، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين، فقالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها، وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت من الله عز وجل[1]، وهناك من قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من أكد أن كلمة التصوف مشتقة من الصفاء[2]، ويرى "ابن خلدون" (808هـ/ 1406م) أن كلمة التصوف لم يعرف لها اشتقاق، ولم يساعدهم القياس فقيل: من لبس الصوف، والقوم لم يختصوا بلباس دون لباس، وإنما فعل ذلك بعض من تشبه بهم، وقد كان شعارهم لباس الصوف في بعض الأوقات تقللا وزهدا[3]، وفي هذا المنحى يشير "أبو الفتح السبتي" أنهم من الصفاء، وصحح هذا بقوله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا *** فيه وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الإسم غير فتى *** صافي فصوفي حتى لقب الصوفي[4]

وقال غيرهم إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتميزوا بأوصافهم، فقال "السري السقطي"[5] في وصفهم:

---

[1]- أبو بكر الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م، ص7.

[2]- أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، (د.ط)، دار الشعب، القاهرة، 1989م، ص464.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل في تهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1996م، ص50.

[4]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة، القاهرة، ص21.

[5]- السري السقطي: هو أبو الحسن سري بن المفلس السقطي، يقال أنه خال الجنيد وصاحب معروف الكرخي، وهو أول من تكلم ببغداد على التوحيد، وهو شيخ البغداديين في وقته، توفي سنة 251هـ، للمزيد ينظر: عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، ط2، د.م.ن، 1997م، ص19.

"أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم كلام الخرقى"[6]، ونسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي، كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف، وهذا ما رجحه "ابن تيمية"[7]، فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف وهو لباسهم، وأيد "السهروردي" صحة القول بنسبة الصوفية إلى الصوف ذاكرا أدلة كثيرة على فضائل لبس الصوف[8]، ولقد نقل "الطوسي" في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي، عن صوفي أنه قال: "كان في الأصل صفوى، فاستقل ذلك، فقيل: صوفي وثميل ذلك نقلا عن "أبي الحسنالكناد" وهو مأخوذ من الصفاء"، وقال "الحسن البصري": "لقد أدركت سبعين بدريا ما كان لباسهم إلا الصوف"، فلما كانت هذه الطائفة بصفة أهل الصفة فيما ذكرنا ولبسهم وزيهم زي أهلها، سموا أُصفيّة وصوفية[9].

في حين نجد أن "الكلاباذي" يقر أن المتصوفة ينسبون إلى أهل الصفة، وذلك لأنهم "تركوا أمور الدنيا، فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الخلان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، ولم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة، وسد جوعة"[10].

ويرى آخر أن كلمة التصوف في اللغة اليونانية تعادلها كلمة "سوفيا" والتي معناها "الحكمة"، أي أن التصوف منسوب إلى الحكمة اليونانية، ولكن ليس بالمفهوم اليوناني بالكامل[11]، وانتقد هذا القول "صابر طعيمة" بقول المستشرق "نولدكه" موضحا أن كلمة

---

[6]– عبد الكريم الخطيب: التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، ط1، دار الفكر العربي، د.ب.ن، 1980م، ص78.

[7]– ابن تيمية: هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين، الفقيه والمفسر، ولد سنة 661هـ، ألف ثلاثمائة مجلد عني بالحديث والفقه، وكان من بحور العلم، امتحن وأوذي مرارا، مات في 20 ذي الحجة سنة728هـ، للمزيد ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ص520.

[8]– غالب علي عواجي، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، المكتبة العصرية، جدة، ج1، 2001م، ص868.

[9]– إحسان إلهي ظهير: التصوف المصدر والمنشأ، ط2، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م، ص22.

[10]– عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص76.

[11]– غالب علي عواجي: المرجع السابق، ص867.

"تسيجما" حرفا يمثل في العصور المتأخرة بحرف السين العربي في جميع ما عرب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد[12]، ويبدو أن التجربة الصوفية واحدة في جوهرها ومضمونها، ولكن الاختلاف موجود بين الأشخاص (المتصوفة)، وهذا راجع إلى تفسير التجربة ذاتها المتأثرة بالحضارة التي ينتمي إليها كل واحد[13].

وفي اشتقاق كلمة التصوف تضاربت الآراء واختلفت، فهناك من أرجعها إلى لبس الصوف وحياة التقشف والمغارات والكهوف التي عاشها المتصوفة، وهناك من ربطها بأهل الصفة، وهم غرباء سكنوا المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أننا نجد "أبو القاسم القشيري"[14] (465هـ/ 1073م) قد نفى هذه المرجعية لأن النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، وقد نجده يقول أنهم نسبة إلى الصف الأول في الصلاة، لأن هذا المعنى حسبه أصح[15]، أما "الكلاباذي" فرد جميع الأقاويل حول الكلمة ومعانيها هو تداولها بين الألسن، حيث نجده أنه جعل الكلمة مأخوذة من الصوف، لأن بهذا التطابق يستقيم اللفظ وتصح العبارة من حيث اللغة، وقد أرجع جميع المعاني كلها من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها وترك الأوطان ولزوم الأسفار، وقد اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام[16].

---

[12]– صابر طعيمة، دراسات في الفرق، د.ط، مكتبة المعارف، الرياض، د.ب.ن، ص100.

[13]– أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، ص3.

[14]– القشيري: هو أبو نصر عبد الرحيم شيخ الصوفية بن هوازن النيسابوري النحوي والمتكلم، جمع عم جده وعمره 4 سنوات، برع في النظم والنشر، كان يحضر مجلس أبي علي الدقاق، وعقد لنفسه مجالس الإملاء في الحديث سنة 437هـ/ 1045م، ألف كتاب التسيير في علم التفسير، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1970م، مج3، ص205.

[15]– القشيري، المصدر السابق، ص464.

[16]–الكلاباذي، المصدر السابق، ص9.

وقد كان الصوفي يؤثر التحلي بالفقر في كل حال شأن من لم يجعل الدنيا أكبر همه، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا الدنيا أكبر همكم فتهلككم كما أهلكت من قبلكم)[17].

ب) التعريف الاصطلاحي

عرفه عبد الرحمان بن خلدون بقوله: «هذا العلم من العلوم الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف»[18].

وغرض المتصوفة الوصول إلى الحقيقة عن طريق الاتصال بالذات الأقدس ومشاهدته، واجتناب الملاذ واعتزال الناس لترويض النفس بالجوع والذكر وغير ذلك من المجاهدات الرياضة التي تنمي الروح للعبادة والزهد وترك الشهوات[19].

وقد عرض ابن خلدون في كتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل تعريفا للتصوف فقال: "رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النجاة"[20].

وسئل "عمرو بن عثمان المكي" عن التصوف فقال: "أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت"، وقال "محمد بن علي القصاب": "التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"، كما أنه يعني الافتقار إلى الله والإيثار على الناس،

---

[17]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص51.

[18]– ابن خلدون: المقدمة، مر: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، ص611.

[19]– عبد الله حسين، التصوف والمتصوفة، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.س.ن، ص22.

[20]– ابن خلدون، شفاء السائل ، المصدر السابق، ص54.

واسترسال النفس للعبادة والخلوة والطهارة[21]، كما يعني الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء، والتمتع بالأخلاق الدينية الحسنة، وإتباع طريق الحق، ونجد ممن اتبعوا هذا الطريق "رابعة العدوية"[22] المتوفاة سنة (185هـ/ 801م)، ثم تطور في القرن 3هـ إلى معرفة ذوقية لأحوال النفس الإنسانيةيغلب عليها الطابع الأخلاقي كما أنها تتصل بالمأكل والملبس والمسكن[23].

ويرى "السهروردي" أن التصوف هو جبل النفس على الغرائز والطبائع التي تلازمها وبياض القلب والصدق مع الحق، والتوافق والتواضع ولين الجانب، والانقياد إلى الخلق القويم، ودوام الذكر بالقلب واللسان، وحسن العمل والجوار، واحتمال الأذى، والإيمان بالقضاء[24].

التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع وعدم التكبر، وإمالة الشهوات في النفس[25]، كما أنه يعني طريق خاص للدخول إلى الحقيقة باستعمال الملكية الحدسية والعاطفية الروحية، كما أنه يهدف إلى إزاحة الحواجز التي تخفى عن النفس، وهو علاقة واحدة بين العبد وربه مع التأكيد على مراعات الشعائر والأخلاقيات الشرعية، والسعي إلى التقوى والتنظيم العملي لها[26].

---

[21]– أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص464-465.

[22]– هي أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوي القيسي، ولدت في البصرة سنة 105هـ/ 723م، عاشت فقيرة معوزة وكانت من أشهر النساء عبادة، لقبت بشهيدة العشق الإلهي، توفيت سنة 185هـ، للمزيد ينظر: رغد سليم داود حبوش، الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، شخصيات منتخبة رابعة العدوية وعمر بن الفارض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف ناجي حسين جودة الكنعاني، قسم الفلسفة، كلية الأدب، جامعة المستنصرية بالعراق، نوقشت في 2009م، ص 111.

[23]–التفتازاني، المرجع السابق، ص 17.

[24]– أبي حفص عمر السهروردي: عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ج2، ص 62- 67.

[25]– غالب علي عواجي، المرجع السابق، ص 865.

[26]– سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر: عبد القادر البحراوي، د.ط، دار المعرفة الجامعية، لندن، 1994م، ص 23.

وعرفه المستشرق "نيكلسون" بقوله: "هو رياضة فلسفية للنفس وفطمها عن الشهوات، والأخذ لها بأسباب الزهد حتى تتصرف إلى ما هو أسمى"[27]

2- الفقه

أ) الفقه في التعريف اللغوي

جاء في لسان العرب لابن منظور، فقه فقها: بمعنى تعلم علما، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عياش فقال: "اللهم علمه الدين وفقّه في التأويل"، أي فهمه تأويله ومعناه، ويقال للأنثى فقيهة، وقال بعضهم: فقه الرجل فقها، وفقه الشيء علمه، وفي التهذيب أفقهته أنا، أي بينت وأوضحت له تعلم الفقه، ومعنى كلمة أفقهت: أعلمت وفهمت[28].

كما أنه يعني الفهم والإدراك، فقه الشيء بمعنى أحسن إدراكه[29]، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[30].

كما يقصد بالفقه في اللغة إدراك معنى الكلام[31].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاحْلُل عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[32]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

والفقه يعني الفهم والفطنة، وفهم غرض المتكلم من كلامه، ولكلمة الفقه في اللغة عدة معان من أشهرها معنيان:

---

[27]–رينولدنيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م، ص 5.

[28]– ابن منظور: لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.س.ن، ص 522.

[29]– سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، مج2، 1988م، ص 288.

[30]– سورة الإسراء، الآية 44.

[31]– محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير، دمشق، ص 18.

[32]– سورة طه، الآية 27– 28.

– الأول: مطلق الفهم ومنه قولهم فلان يفقه الخير والشر، أي يفهمه، بمعنى أنه يمتلك ملكة قادرة على الفهم وعمقه[33]، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة الفقه بهذا الإطلاق، ومنه قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[34].

– الثاني: الفهم الدقيق أو فهم غرض المتكلم من كلامه، فإذا تكلم أمامه متكلم فهم الغرض من حديثه وعرف وأدرك مقصوده، وهو بهذا المعنى أدق وأخص من الأول[35]، وقد استعمل القرآن كلمة الفقه بهذا المعنى، ومنهقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[36].

أما الفقيه هو العالم الفطن وجمعها فقهاء، وعند المالكية من شغل أوقاته بالمطالعة والتعليم والفتوى، وإن قصر عن الاجتهاد، وعند الحنفية من يحفظ الفروع الفقهية ويصير له إدراك في الأحكام المتعلقة بنفسه وغيره كالحرمة والصحة والفساد وهو المجتهد، ويطلق أيضا على المقلد الحافظ مسائل[37].

والفقيه هو من يعلم الفقه وإن لم يكن مجتهدا، ذكر الإمام الغزالي[38](505هـ/ 1111م) أن الناس تصرفوا في اسم الفقيه فخصصوه بعلم الفتوى والوقوف على دلائلها، واسم الفقه في العصر الأول كان مطلقا على علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس وحقارة الدنيا والاطلاع

[33]– إبراهيم محمد منصور الشحات، المدخل في الشريعة الإسلامية، د.ط، د.م.ن، ص 17.

[34]– سورة هود: الآية 91.

[35]– إبراهيم محمد منصور الشحات: المرجع نفسه، ص 18.

[36]– سورة التوبة: الآية 122.

[37]– سعدي أبو حبيب: المرجع السابق، ص 289.

[38]– الإمام الغزالي: ولد بطوس سنة 450هـ/1058م، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، عرف بالذكاء والنجابة، درّس بالمدرسة النظامية ببغداد، كما عرف بفصاحة لسانه، درس عند الجويني، ورحل إلى نيسابور، توفي يوم الاثنين 14 من شهر جمادى الثاني سنة 505هـ، ودفن بطابران بقصبة طوس، للمزيد ينظر: ع. الرحمن دمشقية: أبو حامد الغزالي والتصوف، ط1، دار طيبة، الرياض، 1986م، ص 17.

على الآخرة، ولذا قيل: الفقيه هو الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف عن أعراض المسلمين[39].

ب) الفقه في الاصطلاح

عرفه "بن خلدون" (ت 808م/ 1406م) في مقدمته بقوله: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم، ولا بد من وقوع الاختلاف ضرورة"[40].

وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وقد شرح هذا التعريف من طرف العلماء على النحو التالي:

العلم: يراد به مطلق الإدراك الشامل للتصور والتصديق".

الأحكام: يراد بها النسبة الثابتة بين الطرفين التي هي ثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه، كقولنا: الصلاة واجبة، والزنا حرام".

الشريعة: أي المنسوبة إلى الشرع، وهي ما كانت مأخوذة من أدلة الشرع المبعوث به النبي صلى الله عليه وسلم كالكتاب والسنة وغيرهما..."

العملية: أي المنسوبة إلى العمل، ويقصد به عمل المكلف، والمحمول حكم فقهي، كقولنا: الزكاة واجبة".

---

[39]– محمد عميم الإحسان المجريدي: التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 167.

[40]– ابن خلدون:المقدمة:المصدر لسابق، ص 563.

المكتسب: الحامل بعد إن لم يكن"[41].

التفصيلية: وهي الأدلة التفصيلية التي تتعلق بمسألة معينة كوجوب الصلاة وتحريمأ كل مال اليتيم"[42]، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[43]، وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[44].

إن كلمة التصوف قد وقع فيها اِختلاف كثير بين الباحثين، فقمنا بعرض الآراء، منتقدين بعضها بحجج أوردها آخرون لمعرفة تأصيل الكلمة واشتقاقها اللغوي، أما عن تعريف الكلمة في الاصطلاح فقد كانت مجمل التعريفات تدور حول تطور عملية الزّهد، وترك الدنيا والانفراد إلى حياة العزلة وأداء الشعائر التعبدية، وتطلعنا إلى رأي المسلمين والمستشرقين في ذلك، أما تعريف الفقه لغة فهو متفق عليه في قاموس التعريفات الفقهية، وفي لسان العرب لابن منظور على أنه الفهم والإدراك، أما تعريفه في الاصطلاح فقد عرضنا تعريفات مختلفة مع شرحها، وكلها تتحدث عن أفعال المكلفين ومعرفة حكمها في الأحكام الشرعية

[41]– إبراهيم محمود منصور الشحات: المرجع السابق، ص 18.

[42]– محمد مصطفى الزحيلي: المرجع السابق، ص 20.

[43]– سورة يونس: الآية 87.

[44]– سورة الأنعام: الآية 152.

الفصل الأول:

تأثير المتصوفة بمن حولهم

الفصل الأول: تأثير المتصوفة بمن حولهم.

المبحث الاول: علاقة المتصوفة بالخلفاء.

المطلب الأول: علاقة الود والتقارب.

بعد وفاة المهدي بن تومرت[1] بويع عبد المؤمن بن علي[2] بيعة خاصة من طرف العشرة، وأخفوا وفاة المهدي، واجتمعوا على بيعة عبد المؤمن بن علي لأختصاص المهدي له وثنائه عليه بقوله:

تجمعت فيك أشياء خصصت بها *** فكلنا بك مسرور ومغتبط

وذلك ان المهدي يقدمه للصلاة،كما انه عرف بعلمه وفطنته وحسن تدبيره، وكان ذلك يوم الخميس 14 من رمضان سنة 524هـ/1130م، وهي البيعة الخاصة أما البيعة العامة كانت يوم الجمعة 20 ربيع الاول سنة 526هـ/1132م بجامع تينملل[3].

---

[1]– المهدي بن تومرت: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، رحل من السوس الاقصى شابا الى المشرق، فحج وتفقه، وكان له لسان فصيح بالعربية، وافق المعتزلة في أشياء والأشعرية في أشياء، ألف عقيدة سماها المرشدة، ينظر: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج19، ص 540.

[2]– عبد المؤمن بن علي: ينتمي الى بني مجبر بطن من قبيلة بني عابد احدى قبائل كومية، ولد بقرية تاجرة من مرسى هنين بتلمسان غرب مصب واد التافنة عام 487هـ/1094م، بيويع بالخلافة سرا عام 524هـ/1130م، وبويع امام العامة عام 526هـ/1132م، وتوفي برباط الفتح عام 558هـ/1163م، دفن قرب المهدي بن تومرت بتينملل. ينظر أبو بكر بن على الصنهاجي البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، د.ن، دار المنصورة، الرباط، 1971م، ص34.

– يتوافق البدق وابن ابي الزرع صاحب كتاب الانيس المطرب في سنتي البيعة الخاصة والعامة، ويقول البيدق حول بيعة عبد المؤمن بقول الامام بن تومرت امام العامة طوبى لأقوام كنت مقمهم، وويل لقوم خالفوك اولهم وأخرهم. ينظر: البيدق، المصدر نفسه، ص17.

[3]– علي بن أبي الزرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ن، دار المنصورة، الرباط، 1972م، ص186.

أما علاقة الخلفاء الموحدين بالمتصوفة فكانت بين التجاذب والتنافر، فهذا الخليفة عبد المؤمن بن علي(ت558هـ/1163م)، كان طالبا تلقى تعاليم التصوف عنى الصوف أبي محمد بن أبي السلام التونسي دفين قرية العباج بجوار ابي مدين شعيب، قبل لقائه بالمهدي، ولذا كان الأفكار بينه وبين المرديين متقاربة، فقد كان يميل إلىالزهد والتقشف[1]،أما الخليفة أبو يعقوب يوسف بن علي(ت 582هـ/1184م) فقد كان زاهدا متقشفا، وكانمعجبا بالصوفية يكتابهم ويسألهم الدعاء ويمثن أعمالهم[2].

وأما الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1199م)،كان ذا رأي وحزم ودين وسياسة، فلما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين على تقديمه[3]، اعتمد في سياسته على جذب واستقطاب المتصوفة، فنجده لما قدم إلى إشبيلية ذهب لرؤية محمد بن عبيد الله الإشبيلي[4] المعروف بابن مجاهد، فحاول بكل وجه أن يصل إليه فامتنع من ذلك، إلا أنه رجع إليه ليلا وطرق بابه، فأذن له، ودخل عليه، وسأله الدعاء وانصرف مسرورا بإقباله عليه ودعائه له، وهذا ما يبين اهتمامه بالمتصوفة[5]، خوفا من ميلاد ثورة اجتماعية، وعمل المنصور على الاعتناء بهم والسهر على خدمتهم،تعامل معهم بالعطاء والهدايا واتباع سياسة الاحتواء، فمن مآثر المنصور أنه"لم يزل يستدعي الصالحين من البلاد ويكتب إليهم ويسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلته بالصلات الجزيلة"، ومنح أبا عبد الله بن ماهر الحسيني (ت609هـ/ 1212م) الواعظ والمتصوف أفضالا كثيرة ووصله بتسعة عشر ألف دينار، وكان من

---

[1]– الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص 198.

[2]– الطاهر بوناني: المرجع نفسه، ص 198.

[3]– أحمد بن خالد الناصري: الإستقصاء لأخبار دول الغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح وتر: جعفر الناصري، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج2، ص 198.

[4]– محمد بن عبيد الله الإشبيلي: كان علامة العلماء في وقته، وشيخ مشايخ الصوفية، يعد من الأولياء ذوي الكرامات، وإجابة الدعاء كان يتحاشى الملوك، للمزيد ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكاتب، طرابلس، 200م، ص 376.

[5]– أحمد بابا التنبكتي: المصدر نفسه، ص 377.

المتصوفة المقربين إلى بلاطه عبد الله بن الحجام التلمساني[1] (ت614هـ/ 1217م)، فقد دخل مراكش بطلب من المنصور، وقد نجح إلى حد كبير في جذبهم واحوائهم، فعرف عند المؤرخين بالزاهد والولي الناسك والصفي[2].

أما الخليفة أبو عبد الله الناصر(ت610هـ/1212م)خلف أباه يعقوب المنصور في ولاية العرش، ولقب بالناصر لدين الله كان عمره آنذاك 18 سنة، تميز بالاستبداد وعدم قبوله النصيحة[3]، تميزت فترة حكمه بالود والاحترام وتقديم مساعدات للمتصوفة والاحسان إليهم وتخصيص رواتب لهم، خاصة أولئك الذين لا يملكون حرفة أو منصب إداري[4].

أما الخليفة أبو يعقوب المستنصر[5](ت620هـ/1222م)، تميزت علاقته بالمتصوفة بالمعاملة الحسنة، فقد سئل أبو إسحاق البلفيقي[6] عما رأى من المستنصر فقال: "أما السلطان فمبارك وما رأيت إلا خيرا منه"، وكان البلفيقي متماشيا مع سياسة المستنصر بحسن ويقول فيها: " كل من نال من عرضي ما نال فأنا أحلله من ذلك، وأغفر له ما عدا من رماني

---

[1]– عبد الله بن الحجام التلمساني: كان حسن الموعظة، بديع الشعر، عاش فاقدا لبصره، توفي يوم السبت 16 من شعبان 614هـ، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي: تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح، دار البيضاء، 1997م، ص 439، 440.

[2]– الخضر بو لطيف: الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، د.ط، دار الصديق، سطيف، 2015، ص 22، 25.

[3]– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والاندلس، د.ط، دار الرشاد، القاهرة، 1997، ص 229.

[4]– الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 198، 199.

[5]– المستنصر بالله: هو يعقوب المستنصر بن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف، تمت بيعته يوم وفات ابيه وسنه عشرة اعوام، وكانت فترة حكمه عشر سنين وأربعة عشر شهر ويومين. ينظر: عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1872م، ص 147.

– بينما يرى ابن خلدون ان بيعته تمت وعمره ستة عشر سنة فغلب عليه وزير ابيه سعيد بن أبي جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بامره وعرفت ايامه بالهدنة والموادعة. ينظر:ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج6، ص 337.

[6]–أبو إسحاق البلفيقي: كان من أفاضل العلماء ومن أكادير الزهاد، نشأ على الاجتهاد والانقطاع إلى الله تعالى، لا يتحرك إلا بقلب حاضر ولسان ذاكر، توفي بمراكش سنة 616هـ، عن عمر يناهز 63 سنة، للمزيد ينظر: أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 37، 38.

بالقيام على السلطان فأنا لا أغفر له...ولو رماني بالبدعة الشنعاء والمعصية الكبرى...كان أشد عليا مما رماني به"[1]، كما استدعى المستنصر أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(ت 675هـ/ 1276م) الملقب بابن مقلة لحسن خطه، وعرض عليه قضاء بجاية، فامتنع منه ووصل إليه كتاب من المستنصر لقضاء قسنطينة فاعتذر وتلطف في الاستغناء عنه[2].

المطلب الثاني: علاقة التعارض والاختلاف.

وأما العلاقة الاختلاف بين المتصوفة والسلطة والخلفاء الموحدين فتظهر أولا في تلك الثورات التي قام وقادها رجال المتصوفة على السلطة الموحدية، ومن تلك الثورات، ثورعلى يد بن قسي (546هـ/1151م)، صاحب كتاب خلع النعلين، وابن هود الماسي(542هـ/1148م)،التي شهدتها فترة عبد المؤمن بن علي(ت558هـ/1163م).

- **ثورة بن قسي:** بعدما دخل الموحدين فاس عام (539هـ،/ 1144م)، وبعدها مراكش وأصبح المغرب تحت لواء الموحدين، في هذه الأثناء فقد بن قسي سلطته بعد أن تعرض لهزيمة، فكان لزأما على بن قسي[3] البحث عن حلفاء، وكان هؤلاء الحلفاء هم الموحدين، فعبر إلى سبتة واتصل بوالي الموحدين على المدينة، فرتب له اجتماع مع عبد المؤمن بن علي(558هـ/ 1163م)، وكان من نتائج هذا اللقاء هو أن يمد الخليفة الموحدي لابن قسي بجيش للعمل في الأندلس، والظاهر أن بن قسي لم يدخل في الدعوة الموحدية، ولم يعمل بمبادئها، ورجع إلى الأندلس في محرم عام541هـ/ 1146م، ففتح جزيرة طريف والجزيرة

[1]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد، محمد بن تاويث، د.ط، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الرباط، 1979، ج4، ص 114.

[2]-أبو العباس الغبريني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 60.

[3]- ابن قسي: هو رجل صاحب حيل، ادعى الولاية عرف بصنعته للبيان وانتحاله البلاغة، ثم ادعى الهداية، احتلفوا عليه أصحابه وكان قيام ثورته بخطى مرتلة، أخذه الموحدون قبضا باليد، قتل 546هـ/1151م، للمزيد ينظر: عبد الواحد المراكشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب، د.ط، بريل، لندن، د.س.ن، ص 150.

الخضراء، ودخل شريش، وتمكن من الاستيلاء عليها، ومر إلى ميرتلة وضمها إلى نفوذه، ثم وجه نظره نحو شلب واستولى عليها وترك الموحدين[1]، وأصبح ابن قسي واليا عليها، وعندما سيطر الموحدون على غرب الأندلس باستثناء شلب وما جاورها بقيت تحت سيطرة بن قسي، وعندما وقع الخلاف بين الدولة الموحدية والداعي الماسي، وانتفض على الموحدين كثيرا منأهل البلاد، فنقض بن قسي التحالف، وكانت الدولة الموحدية آنذاك تواجه مشاكلوصراعات، وبعد القضاء على الداعية الماسي تورط بن قسي والقطيعة، واضطر إلى البحث عن خليفة خارج الديار الأندلسية، فاتجه نحو ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز[2]، وأهل شلب تحالفوا مع الموحدين بعد سماعهم بتحالف بن قسي مع الملك النصراني، فقبض أهل شلب على ابنه الحسين بن أحمد بن قسي، واقتحمت طائفة من الموحدين حصن بن قسي فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح المهدي من طرف الروم، وكان ذلك في جمادى الأولى من سنة(546هـ/ 1151م)[3].

- **ثورة ابن هود الماسي:** تضاربت الآراء حول انطلاق ثورة بن هود[4]، فأبن أبي زرع (741هـ/ 1340م)، انطلقت سنة (542هـ/ 1148م)[5]، بينما يذهب بن عذارى المراكشي أن الثورة انطلقت سنة (541هـ/ 1147م)[6] وكانت هذه الثورة الصوفية ضد الموحدين، وتعود أسبابها إلى عدة عوامل منها تخميس أموال الجزية هذا الأمر عصب بن هود، لكن

---

[1]- مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، تطوان، 1999م، ص 126، 127.

[2]- مصطفى بنسباع: المرجع نفسه، ص 128.

[3]- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، د.ط، دار المكشوف، د.س.ن، ص 251.

[4]- ابن هود: لم يذكر بن أبي زرع وبن عذارى المراكشي تاريخ مولده، وهو محمد بن هود بن عبد الله، كان أبوه يبيع الكتابيش في السوق، ادعى بن هود الهداية وسمى نفسه بالهادي، قتل عام 542هـ، ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، البيان، المغرب، ص 30.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 190.

[6]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد زنيروآخرون، ط1، دار الغرب الإعلامي، بيروت، 1985م، ص 27.

البعد الصوفي كان واضحا في الثورة[1]، وانضمت لهذه الثورة الكثير من القبائل كجزولة وحاحا...حتى استجابت إلى دعوته كل من سلا وسجلماسة، يقول بن عذارى المراكشي: "وأقبل الناس المغترون به من كل مكان، وقبل إليه فاجتمعوا بشقاوتهم عليه اجتماعا طار له الذكر في الآفاق، وتحدثت به الرفاق، فقامت بدعوته جموع لا تحصى"[2].

حيث لم يبقى تحت الموحدين سوى مراكش وفاس، وعصفت هذه الثورة بحكم الموحدين، فبعث إليه عبد المؤمن بن علي حملات، لكنها باءت بالفشل، ثم أرسل لهم جيشا كبيرا على رأسه أبي حفص الهنتاتي فدارت بينهم حرب كبيرة قتل فيها الماسي وهزم جيشه، وكان ذلك في ذي الحجة في (542هـ/ 1148م)[3].

وأماالخليفةأبو يعقوب يوسف بن علي(ت 582هـ/1184م)، رغم انه كان زاهدا ومتقشفا، إلا أن العدواة فالعداوة التي أبداها بعض المتصوفة اتجاه السلطة الموحدية أدت إلى عدة صراعات، والظاهر أن الموحدين حاولوا في بداية الأمر فرض قيود على أنشطة المتصوفة، وكدليل على ذلكنجد أبي عبد الله محمد بن موسى الازكاني (590هـ/ 1194م)[4]، فقد كان هذا المتصوف من متصوفة منطقة صفرو ويتردد على الرباطات، واجتمعت له جموع كثيرة، وأتبعه وفد من الرجال وتكاثروا حوله، فسمع بذلك القائد بن حسون، وكان واليا على فاس، فخرج إليه جمع كثير من الخيل والرجال لإلقاء القبض عليه،

[1]– جمال علال البختي: الحضور الصوفي بالمغرب والاندلس إلى حلول القرن 7هـ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص 53.

[2]– أبن عذارى المراكشي: المرجع نفسه، ص 30.

[3]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 190.

[4]–أبو عبد الله بن موسى الأزكاني: أصله من أزكان استقر بصفرو على بعد أميال من فاس، كان من الأفراد الأكابر، حضر بفاس مجلس أبي إسحاق الميورقي الواعظ، فأثرت فيه خطبه ومواعظه، كان أمي لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه يتمتع بالفراسة وأسرار المكاشفة، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 365.

وطلبوه طلبا شديدافقر قبل وصولهم، أما الصوفي أبو زكريا يحي الصنهاجي[1] الذي أمر أصدقائه بالخروج ليلا خوفا عليه من السلطة الموحدية، وهذا ما يؤكد أن العلاقة بين المتصوفة وأبو يعقوب كانت ممزوجة بالتواتر أحيانا[2]، ولقد كان السلطان أبو يعقوب يوسف يود أن تدور هذه الفئة المتصوفة في فلكه، لكن هذه الفئة كان يشوبها نوعا من التشدد، ومنعزلة عن البلاط والساحة السياسية، فنجد ابن عربي[3] يتحدث عن شيخه أبي محمد عبد الله القطان والذي يعد من المتصوفة المتعنتين والمنتقدين للخلفاء الموحدين إذ كان يسب أفعالهم ويرد أقبح الكلام في وجوههم، وشديد الغلظة معهم، إلا أننا نجد الخليفة أبو يعقوب قد تعامل معه باللين، هذا ما يدل على فطانة عقله، إذ أنه يدرك الوزن الثقيل والحظوة الكبرى التي كان يحتلها هذا الصوفي بالمجتمع الأندلسي[4].

إتسمت العلاقة بين المتصوفة والسلطة في عهد أبو يعقوب بالنفور والتباعد، وقدكادت أن تؤدي إلى مواجهات مسلحة، ومنها تلك الثورة الغامضة التي ثارت أواخر عهده بقيادة متصوف يدعى عتاب، إلا أن ثورته لم تذكرها المصادر، إلا أننا نجدها عند أبن الزيات التادلي في كتابه التشوف، وذلك عند حديثه عن شخصيتين أيد هذه الثورة، فردت عليهم السلطة الموحدية بالقمع والاضطهاد، أولهما هو أبو وزاغار تيفاوت ابن علي

---

[1]–أبو زكريا يحي الصنهاجي: تلميذ عبد الجليل بن ويحلان، كان من أكابر الأولياء، كان متشددا على نفسه محبا للزهد عزوفا عن الدنيا، اختلى مدة في بيته بأغمات عندما رأى المرأة متزينة، وهو شيخ أبي علي منصور بن عبد الرحيم الهسكوري، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 230.

[2]– أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م، الق1، ص 51.

[3]– ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي الملقب بالشيخ الأكبر، ولد سنة 560م، بمرسيه في الأندلس، وانتقل إلى إشبيلية بالمغرب والحجاز ومصر، كان زاهدا، متفردا، متعبدا، له مؤلفات عدة منها: الفتوحات المكية، التوقيعات، شرح أسماء الله الحسنى، توفي في دمشق سنة 638هـ، ودفن بالصالحية، للمزيد ينظر: ابن عربي: ديوان ابن عربي، شر: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص 4.

[4]– فاطمة الزهرة جدو :السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين، مذكرة مقدمة لينيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط تخصص تاريخ وحضارة بلاد الاندلس: اشراف ابراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والاثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007–2008م، ص 126.

المشنزائي[1](ت603هـ/ 1206م) الذي فرّ هاربا من المغرب إلى المشرق خوفا من السلطة الموحدية، والمتصوف الثاني هو تيلجي ابن موسى الدغوغي[2](ت 605هـ/- 1208م) الذي اقتفى أثره فرسان الموحدين واختفى في خيمة وقد كان مطلوبا من قبل السلطة، أما ثورة عتاب وشخصيته فلا نجد لها أثر في المصادر، إلا أن المؤكد أن ثورته قد وجدت دعما من المتصوفة والمريدين مثلها مثل الثورات السابقة كثورة ابن قسي (ت546هـ/ 1151م)، وابن هود (ت542هـ/ 1147م)، ويؤرجح المؤرخون أن ثورته اندلعت أواخر القرن 6هـ، وقد ردت عليها السلطة الموحدية بالمثل، ومن هذا العرض يتضح لنا أن علاقة المتصوفة والسلطة في عهد أبي يعقوب يوسف بن علي كانت متوترة، فعملت على اتخاذ موقف يسوده الريبة والصرامة والحذر كما عمل على التطويق والاحتواء، وذلك لوضع حد من تغلغل نفوذ المتصوفة في أواسط المجتمع الموحدي[3].

وايضا من حالات التعارض والخلاف بين المتصوفة والسلطة الموحدية، ماشهدته فترة يعقوب المنصور(ت595هـ/1199م)، فنجد أن هناك من رفض التقرب من السلطة وعارضها معارضة سلمية، وفي مقدمتهم القطب والغوث أبو مدين شعيب[4](ت 494هـ/ 1198م) الذي يعد نموذجا بارزا في كشف القمع السياسي الذي مارسه اتباع الموحدين

---

[1]–أبو وزغار ابن علي الوشنزائي: من كبار المشايخ، كان يرابط برباط شاكر، وهو دفين أولاد عمران بدكالة البيضاء، توفي سنة 603هـ، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 394.

[2]– تيلجي ابن موسى الدغوغي: ولد 485هـ، من بلدة بني دغوغ من دكالة وبها مات، كان واعظا برباط شاكر في وقت لا يصعد جامع شاكر إلا الآحاد، توفي سنة 605هـ، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 42.

[3]– أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي: المصدر السابق، ص 54، 55.

[4]–أبو مدين شعيب: هو شعيب ابن حسين الأنصاري الأندلسي من أحواز إشبيلية، كان يرعى الغنم صغيرا، تتلمذ على يد ابن حرزهم، أقام بفاس ونهل من علومها، وزار أبا يعزى، كان زاهدا فاضلا، كان يعكف على كتاب الأحياء، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عليها، وله مجلس وعظ وذكر، وكان يفنع تلاميذه بتفسيره، بلغ مرتبه الغوث والقطب، توفي في عهد المنصور الموحدي عام 594هـ، للمزيد ينظر: ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نش وتص: محمد الفاسي، أدولف فور، د.ط، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م، ص 11، وينظر أيضا: ابن مريم التلمساني: البستاني في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان، مر: محمد ابن أبي شنب، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص 108–109.

فيبجاية خلال فترة المنصور معبرا عن ذلك بقوله: «بفساد العامة يظهر ولاة الجور، وبذلك فهو يحمل المجتمع نصيبه في الاستبداد السياسي»[1].

كما اتبع قرينه أبو علي الحسن المسيلي[2] الذي عاصر فترة المنصور (580هـ/ 595هـ) (1184م/ 1199م) أسلوب النهي عن المنكر بالحجة والاقناع في الجامع الاعظم ببجاية مهددا القضاء الموحدي الذي يعتبر عمود الحكم[3]، فعهد المنصور بعد أن أخافه فقهاء الظاهر من ابن مدين لكثرة أتباعه على استدعائه لتضييق الخناق على المنتشرين حوله، وتعامل مع أبي الحسن المسيلي وذلك بإقصائه من سلطة القضاء، بل إنه كان ينوي قتله لقبوله منصب القضاء في فترة حكم بنو غانية[4] لبجاية، وكان ذلك سنة (581هـ/ 1185م)، لذا فقد تمت معاقبته لأنه اعترف بحكمهم[5]، وكل هذا ينطوي تحت سياسة السلطة الموحدية مع المتصوفة وشيوخهم.

---

[1]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 201.

[2]–أبو علي حسن المسيلي: هو الشيخ العالم العابد الزاهد الفقيه، كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين علمي الظاهر والباطن، امتهن في التدريس في الحلقات الخاصة بحارة المقدسي ببجاية، كما كانت له مواعظ بجامع بجاية الأعظم، وجلسات تجويد، له مصنفات عدة من بينها: "التذكرة في أصول علم الدين"، "النبراس في الرد على منكر القياس"، حكم قضاء بجاية، توفي حوالي 580هـ، للمزيد ينظر: أبو العباس الغبريني:المصدر السابق، ص 23، 24.

[3]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 201.

[4]– بنو غانية: وهم من قبيلة مسوفة المرابطية، ثانية القبائل الصنهاجية الكبرى التي قنام عليها ملك المرابطين بعد لمتونة، وسمو بهذا الاسم نسبة الى مؤسسهم الذي ينسب الى امه، وكانت من غانة فهي غانية وكانت النسبة الى الامهات شائعة لدي المرابطين. ينظر: علي قنبر الياس: أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين في المغرب والاندلس، مجلة التربية والعلم، المجلد 17، العدد 1، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم التاريخ، 2009م، ص88.

[5]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 202.

كذلك الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر(ت610هـ/1212م)، على الرغم من علاقته الحسنة مع المتصوفة، إلا أنه دخل في حالة يأس بعد انهزامه في موقعة العقاب[1]، فانغمس في ملاذه وشهوته واعتزل السلطة واعتكف في قصره، فدس له السم وتوفي عام (610هـ/ 1213م) وهو في الرابعة والثلاثين من عمره بعد أن حكم البلاد مدة خمسة عشر عأما بضعة أشهر[2]، وأيضا فترة حكم المستنصر بالله (ت620هـ/1222م)، على رغم من علاقة الود بينه وبين رجال المتصوفة، إلا أنه لم تخلوا من ذلك الخلاف والتعارض بين السلطة الموحدية ورجال المتصوفة.

يبدو من خلال عرض طبيعة العلاقة بين السلطة والخلفاء الموحدين والمتصوفة كانت عدائية، إلا أن السلاطين عملوا على احتواء البعض منهم خوفا من التعبئة الجماهيرية التي تميز بها المتصوفة وفي مقدمتهم أبو يعزى(ت572هـ/ 1176م).

[1]– موقعة العقاب: وقعت سنة 609هـ/1212م في عهد الخليفة الناصر، وقد هزم فيها نتيجة اتحاد ألفونسو والقوامس والبساترية، وحث البأبوية النصرانية على مجابهة الموحدين للاسترداد المكانة المفقودة في معركة الأرك، للمزيد ينظر: يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ج2، ص 109.

[2]– محمود السيد:تاريخ دولتين المرابطين والموحدين، د.ن، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2004م، ص79.

المبحث الثاني: أثر المتصوفة في المجتمع.

إذا كانت علاقة المتصوفة بالخلفاء الموحدين قد اِمتزجت بين الاحتواء والتوتر والصدام، وهذا راجع إلى اختلاف منطلقاتهم وأهدافهم، فإن علاقة المتصوفة بالمجتمع كان لها اتجاه مغاير تماما[1]، وهذا ما سنسلط عليه الضوء في هذا المضمون من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: كيف كانت علاقة المتصوفة بالمجتمع؟ وفي ما تمثلت هذه العلاقة؟ وكيف كان دور المتصوفة في المجتمع؟.

شهدت بلاد الغرب الإسلامي الكثير من الصلحاء الذين اتخذوا من التصوف حلولا وطريقا لهم ولحياتهم، فتجمع حولهم الأتباع والمريدون يأخذون منهم سلوكهم، فقاموا بمؤازرته والتلطف معه في المعاملات[2]، فقاموا بعدة أدوار يمكن حصرها في:

المطلب الأول: دور المتصوفة الديني والأخلاقي.

المحافظة على الدين الإسلامي وتعليم الشعائر الدينية: عمل المتصوفة على المحافظة على الدين الإسلامي وذلك من خلال التعليم والتلقين، فقد قام الكثير منهم بعقد حلقات خاصة لتعليم الطلبة وتعريفهم بأمور دينهم ودنياهم، وكان جل اهتمامهم مرتكزا عللى العلوم الدينية وذلك لما فيه صلاح للمجتمع[3]، وقد حفظت لنا كتب المناقب والتراجم العديد ممن اشتغل في التدريس، فنجد أن المتصوف أبا محمد بن عبد الجليل بن ويحلان

---

[1]– البشير غانية: ألأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين(479هـ– 635هـ/ 1086م– 1238م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: محمد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، نوقشت 2015م– 2016م، ص 216.

[2]– حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م، ص 101.

[3]– محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص 103.

(541هـ/1146م) كان يدرس العلوم الدينية لتلاميذه بأغمات[1] ثلاثين سنة محتسبا لله لا يأخذ أجرة مع شدة حاجته للمال، وكان أبو عبد الله التاودي المعروف بابن الخياط (ت580هـ/ 1185م) يدرس الصبيان ولا يأخذ الأجرة إلا من المقتدرين على دفعها، وعمل بن حرزهم مهنة التدريس عند الأمراء بمراكش، ونهل منه أبو مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م) بفاس، ودرس أحدهم القرآن الكريم بتلمسان محتسبا لله دون أن يأخذ الأجرة من طلبته.

ولتوعية المجتمع والحفاظ على الوازع الديني، ألف القطب أبو مدين شعيب (ت594هـ/ 1198م) لهذا الغرض كتابا سماه "أنس التوحيد ونزهة المريد"، وعرض فيه عن الدنيا والبعد عن الإحنرافات وأبرز السلوك الحسن من ورع وتقوى وإيثار، ودحض البدع والمزلات، كما قام العديد منهم بتعريف الدين الإسلامي في البوادي والأرياف، فقد نقل عن ابن مخلوف أنه أكد أن أبو مدين شعيب تخرج على يده ألف تلميذ، وعندما رجعوا إلى بواديهم عملوا على نشر علومهم بين أواسط مجتمعهم، والجدير بالذكر أن رهبانا إيطاليين قدموا إلى بجاية لرؤية أبو مدين وحضروا مجلسه فدخلوا الإسلام، دون أن ننسى أثرهم في الحث عن الجهاد ضد النصارى، وهذا ما أكده يحي بن خلدون مستشهدا بدور عبد الله بن الحجام (ت 614هـ/ 1217م)، بالمسجد الأعظم بإشبيلية[2]، وقام أبو العباس السبتي[3](ت 601هـ/ 1204م) بتدريس العلوم وتوعية العامة والتركيز على العلم الباطن (التصوف)، كما قام بتعليمهم كيفية

[1]– أغمات: تبعد عن جسلماسة ثمانية مراحل وهي مقابلة إلى مراكش، أهلها فرقتان، يقال أحدها الموسومية والأخرى مالكية حشوية، وبينهما قتال دائم، وكل فرقة تصلي في جامع منفرد، وهي تقع في سفح جبل، يسكنها المصامدة، تدبغ بها جلود تفوق جودة على جلود المغرب كلها، للمزيد ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، تر: محمد الامين الخانجي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، مج1، ص 395.

[2]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 191، 193.

[3]–أبو العباس السبتي: هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي، ولد بسبتة عام 524هـ– 1130م، ونزل مراكش، وقام بتدريس التلاميذ في الحساب والنحو، كما علم العامة كيفية الصلاة وكان يعاقب تاركها، اختلف أهل مراكش فيه، منهم من يراه وليا ومنهم من يكفره، ومنهم من يرى أن مذبه يدور حول الصدقة والعطف، كان ملاذتي المذهب، توفي في مراكش عام 601هـ– 1204م، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 101.

الصلاة[1]، ونجح أبو يعزى(ت 572هـ/1176م) في إدخال أحد المسيحيين في الإسلام[2] وعمل جاهدا في البحث عن الصلاة، وحارب هذا بكرامته، فقد كان يكشف من خلالها المصلين الذين يتجهون إلى الصلاة بدون وضوء، ويحكى عنه أنه قيل له: "بماذا تعرف هؤلاء المصلين بغير وضوء؟"، فقال: "أشم منهم رائحة كرائحة الكلاب"، كما نقل عنه أنه يعرف تارك الصلاة فقال: "إني أرى على وجهه دخان ودكنة"، فيعلم أنه غير مصلّ وإن كان أبيضا[3]، أما حلقات الذكر فقد كانت تعقد في مجالس المغرب والأندلس وقد لمت شريحة العامة، وأحيانا تكون حلقة الذكر بعد صلاة الجمعة، وذلك باجتماع المتصوفة والطلبة، ويشاركهم العامة أحيانا في ذلك، فقد كان المسجد يقبل وفودهم[4].

يظاف إلى الجانب الأخلاقي بناء المساجد خدمة للمسلمين، وذلك من أجل التدريس فيها، وجعلها كمؤسسة دينية تقام بها الشعائر التعبدية، وتعليم الجتمع قوام دينه، ولقد اجتهدوا في اتخاذ القبلة لهذه المساجد لكي تكون على الإتجاه الصحيح[5]، واعتمد المتصوف المصلح في مجتمعه بأن يكون قدوة في الزهد وترك الأمور الدنيوية، وعدم الإنغماس في اللهو والمجون، وصرف رغبة القلب، وتهذيب النفس البشرية وترويظها على الطهارة والعبادة، واتباع الفضيلة والبعد عن الرذيلة، حيث يقول أحدهم: "إن ترك الدنيا للدنيا شر من اخذها"[6]،

---

[1]– شرقي نوارة: الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524–667هـ/ 1126–1268م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط كلية العلوم الإنسانسة، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، نوقشت 2007–2008م، ص 100.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والاندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات، الاولياء)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص 162.

[3]– أحمد التادلي الصومعي: كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبو يعزى، تح: علي الجاوي، د.ط، مكتبة المعارف، الرباط، ص 117.

[4]– محمد بركات البيلي: المرجع السابق، ص 101.

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 162.

[6]– حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في الغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (404هـ– 668هـ/ 1062م– 1269م)، د.ط، د.م.ن، القاهرة، 1994م، ص 90، 91.

وهذا ما نجده ظاهرا في الجمهور الذي كان يحضر داخل المساجد دروس الوعظ والإرشاد، دروس المتصوفة، ومنهم علي بن حسين بن محمد، وعيسى بن هشام[1].

وحث المتصوفة العامة أداء الصلاة الجماعة بدل الفرد، وذلك ما جعل منهم معتكفين في المساجد كمحمد ابن ابراهيم المهدوي (ت 595هـ/ 1199م) الذي كان مواظبا على صلاة الجماعة، أزيد من أربعين عاما وهو يصلي في المسجد ولا يخرج منه إلا للحاجة الضرورية[2].

كما حرص المتصوفة على التصدق والزكاة، فهذا المتصوف السالف الذكر– المهدوي– نزيل مدينة فاس وكان بحوزته أربعين ألفا، فنفقها في سبيل الخير حتى لم يبق له غير داره[3]، وعرف أبو عبد الله بن البلد الذي كان ينسخ الكتب، وعن حصوله على ثمنها يتصدق به، وكان بن مرزوق يتصدق بالمال والقمح على الفقراء كل جمعة، ويوزع منتوج أرضه على من يعرفه من الفقراء، وتصدق أبو إسحاق التنسي (ت 680هـ/ 1281م) ما يربحه من تجارته، وعرف أبا عجم هلال بن يونس الغبريني بتصدقه بغلال أرضه، فكان لا يأخذ من حصاده إلا القليل، وتصدق عبد الله بن الحجاج الجزائري (ت 601هـ/ 1242م) بأجرة منصب القضاء، وتغذى على فوائد عقار ورثها عن أبيه[4].

وتحدث ابن الزيات التادلي في كتابه التشوف عند عرضه لأخبار أبو العباس السبتي (ت 601هـ/ 1204م) في قوله: "حضرت مجلسا فرأيت مذهبه يدور على الصدقة، وكان يرد سائر أمور الشرع إليها"، وهذه دلالة على حرصه عن الصدقة والنص على العمل واهتمامه الواسع بالزكاة[5]، وفي أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، والتسهيل في

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع نفسه، ص 163.

[2]– التميمي: المصدر السابق، الق2، ص 67.

[3]– ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 332.

[4]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 189، 190.

[5]– البشير غانية: المرجع السابق، ص 218.

مأموريته ومساعدة الفقراء على الحج، فقد كانوا يأخذونهم في القوافل تبركا بهم، وفي ذلك يتبعهم خلق كثير بأمر من المتصوفة في ذلك[1]، وقد أخذ السوفي الماجري (ت 631هـ/ 1233م) على عاتقه تنظيم أداء فريضة الحج فأسس ركب الحج الذي عرف بالركب الصالح، وهو عبارة عن مجموعة من الزوايا تقوم على خدمة الحجاج المغاربة على طول الطريق، وقد شمل الركب كل ما يخص من الحجاج وما يتعلق لهم، فعمل على حمايتهم من اللصوص، وأخد يدعوا في مسيرته كل من يجده في طريقه، وقد أسلم على يده نفر من النصارى وقعوا في أسره، فحلق رؤوسهم وأخذهم معه إلى الحجاز[2].

المطلب الثاني: دور المتصوفة محاربة الفساد.

ومن الجانب الأخلاقي عمل المتصوفة على الحد من وقوع فاحشة الزنا والفساد الأخلاقي وغرس القيم والأخلاق الفضيلة في المجتمع الموحدي، فقد قام عبد الله بن الحجام (ت 614هـ/ 1174م) بتجهيز البنات الفقيرات للزواج خوفا من وقوعهن في المعاصي، ومحاربة مشكلة الخمر وقد أحلت العامة على المتصوفة من محاربتها لشيوعها في المجتمع الموحدي، فقد ورد في كتاب التشوف أن العامة اشتكت إلى الصوفي عبد السلام التونسي من خلال ممارسة المجتمع الزنا وعملية السرقة، فعمل على تأديب العامة والحث والوعظ في ذلك[3].

وتمثلت محاربة الخمر عند المتصوفة بتكسير الأواني(القلة) التي تحفظ فيها، وقطع أشجار العنب والحث على مخاطرها في حلقاتهم، وقد نقلت لنا كتب التراجم تراجم بعض المتصوفة وكيفية محاربتهم للخمر[4].

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 163.

[2]– البشير غانية: المرجع السابق، ص 220.

[3]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 191.

[4]– ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 134.

أما عن الدعارة فقد تحدث ابن الزيات عنها عند ترجمته لأبو محمد عبد السلام التونسي، عندما اشتكى له أهل تلمسان من رجل يتردد إلى بيوت الزنا "فلقيه عبد السلام فأخذ بأثوابه وضرب به الحائط، قال له: يا هذا آذيت المسلمين حتى أكثروا بك الشكوى!"، فتاب الرجل من هذا الترهيب[1]، ومما قلص الرذائل في المجتمع هي كرامة[2] التي جعلتهم يكتشفون، فيحكى أن أبي يعزى (572هـ/ 1176م) "أتاه رجل فسلم عليه، فقال الرجل: أتوب إلى الله تعالى من ذلك"، وقد كان فاعل الكبيرة يتحاشى رؤيته، وهذا ما أعطاه حظوة في المجتمع وصلت إلى مرحلة التقديس والسمو[3].

المطلب الثالث:دور المتصوفة في التكافل الإجتماعي.

لقد قام المتصوفة بأدوار عديدة في حياة العامة حتى كثر المريدون حولهم والتبرك في مجالسهم، وكما كان لهم دور كبير في ترسيخ الدين الإسلامي، ونشر السلم ومحاربة الفساد والجريمة، فإن الدور الإجتماعي سيكرس قيمتهم في المجتمع، ويجعل من المتصوفة أطباء في حلول قضايا مجتمعهم، ومن أدوارهم في التكافل الإجتماعي ما يلي:

أ- إطعام الطعام:

لقد كان في المجتمع طبقات تعيش في فقر مدقع، فعمل المتصوفة على إطعامهم والتكفل بهم، فالمتصوف أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي "كان يسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم"، كما قدم مساعدات للذين يعانون من الدين والعاجزون على شراء أضحية

[1]- أبن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 111.

[2]- الكرامة: عرفها سهل التستري بقوله: "هي أن تأخذ ما تشاء من حيث"، للمزيد ينظر: عبد العزيز بن عبد الله: معلمه التصوف الإسلامي، ط1، مطبعة المعارف، الرباط، 2001م، ج3، ص 185.

[3]- الصومعي: المصدر السابق، ص 118.

العيد، ونقلت لنا كتب المناقب عن المتصوف أبو يعزى[1] (ت 572هـ/ 1176م) كان يطعم الزائرين له، ويعلف دوابهم، ويقدم في ذلك أهى وأجود الأطعمة كالعسل ولحم الدجاج ولحم الضأن، ويأكل هو الأعشاب ويقلل طعامه[2].

وعمل أبو الحسن علي بن محمد الحمال على جمع الضعفاء في داره ورعاية شؤونهم، واشتهر أبو عبد الله المعروف بالحجاج بمساعدة الفقراء وإغاثة الملهوف وإطعام المساكين[3].

ولكي يتمكن المتصوفة من التخفيف على المجتمع ومعاناته مع الحاجة والفاقة اعتمد على المنح والهبات كطريقة يسدون بها رمقهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، فأبو العباس أحمد الحراز (ت 600هـ/ 1203م) كان يهب الثياب التي تمنح له من أعيان مدينة بجاية[4]، وعرف بن الحجام (ت 614هـ/ 1118م) بتصدقه على الفقراء بتلمسان، وبعث روح الشفقة في نفوس الأغنياء لمساعدة اليتامى والمحتاجين والأرامل والقصر، ووزع أبا عبد الله الشوذي الحلوى ببيع الحلوة للصبيان بشوارع تلمسان، ويوزع ثمن بيعها على الفقراء الذين يعرفهم[5].

وجعل البعض من عادته مساعدة المساكين وتقديم الطعام في المناسبات والأعياد، في حين أن هناك من جعلها عادة يومية، "كأبي إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي (ت

---

[1]–أبو يعزى: قيل من بني صبيح وقبيل بن هزميرة ايروجان، كان متقشف في حياته كل أوراق الأشجار والأعشاب، ويرتدي برنوسا أسود مرقعا، عرف بكراماته ومكاشفاته، فقد كان يعرف الزاني وتارك الصلاة، وهو قطب عصره وأعجوبة دهره، توفي بهسكورة سنة 572هـ/1176م، للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص 159.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 159.

[3]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 190.

[4]– بجاية: قاعدة المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، وهي تقع على جرف حجر، أهلها مياسير ولها واد ومزارع بناها ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي طويل المعروفة بقلعة حماد، للمزيد ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري:الروض المعطار في اخبار الاقطار، تح احسان عباس،بيرقت، لبنان، ط1، 1984، ص 80.

[5]– الطاهر بونابي: المرجع نفسه، ص 189.

580هـ/1183م) الذي كان بائعا للأسفنج بمراكش، فقد كان كل يوم يطعم الفقراء والمساكين للأسفنج والهريسة"[1].

لقد لعبت الكرامة دورا كبيرا في استمالة المجتمع واحتكاكه بطبقة المتصوفة، إذ أصبح يعتمد بها في حل الأزمات الإقتصادية والإجتماعية التي لحقت المجتمع في القرن 6و7هـ/ 12 و13م، كالجفاف والمجاعة والأوبئة والكوارث الطبيعية، بعد أن عجزت السلطة الحاكمة عن إيجاد الحلول، فوجدوا الحل عند المتصوفة وذلك باستعمال الكرامة، ومن الدلائل على ذلك أن أهل تلمسان لما أصابهم جفاف طلبوا من الصوفي أبي زكريا بن يوغان ليصلي بهم صلاة الإستقصاء، وقام أبو زكريا يحي الزواوي بحل أزمة المجاعة في بجاية، وذلك بتكلفة إعانة المحتاجين وتأمين مسكن لهم، وعمل أبو الحسن الحرالي (ت 638هـ/ 1240م) وتلاميذه بتوفير احتياجات الفقراء عند جفاف مدينة بجاية، ولما عجز توجه إلى الله بالدعاء والصلاة، فنزل الغيث[2]، أما عن حصول البركة في الطعام القليل، فقد أتى الصوفي أبو محمد عبد الله بن يحي الزناتي (ت 536هـ/ 1141م) بخبز قليل وقربة لبن لأربعين رجلا، فأكلوا وشبعوا، وأطعم أهل قريته والأربعين رجلا بصفة صغيرة بالزبد، وأكل معهم هو وزوجته[3].

وأقبل أبو يعزى (ت572هـ/ 1176م) بطبق فيه رغيفان من الخبز وصحفة فيها لحم مشوي من لحوم الضأن، وقال لجلسائه: "سأطعمكم هذا، حتى لو بقيتم معي شهر"[4].

ب- معالجة المرضى:

[1]- البشير غانية: المرجع السابق، ص 234.

[2]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 188.

[3]- البشير غانية: المرجع السابق، ص 239.

[4]- الصومعي: المصدر السابق، ص 118.

إن الحلول التي قام بها المتصوفة في الكوارث الطبيعية والأزمات الإقتصادية جعل من المجتمع يصطف حول ديارهم لمعالجة مرضاهم بعد عجز الأطباء في معالجة الأمراض المستعصية.

عالج ابن حرزهم[1] (ت 559هـ/ 1164م) طفلا بلغ أربعة أعوام ولم يقدر على الكلام، فزاره ودعا له فشفي، ورجع إلى أهله يتكلم، ونجح أبو يعزى في علاج طفل أصابته قروح في رأسه، وشفاء الأعمى عن طريق مسح عينه بيده، وعرف لمعالجة أمراض الصدع والصرع المستعصية الشفاء، كما اعتمد على كل من يقصده بطرقه الخاصة وذلك برقعة برنوسه أو بريقه أو بلمسه، والملاحظ أن للحالة النفسية دور كبير في معالجتهم[2]، ومن ذلك ما رواه ابن عيسى (ت 610هـ/ 1114م) من أنه كان مصابا بالصرع في صغره وحار الأطباء في علاجه حتى صحبته أمه إلى يزرجان بن يعقوب الذي مسح بيده على رأسه فلم يصبه الصرع بعد ذلك، ومرضت إحدى الجواري فلم يشفها إلا أبي يعزى حين لمس عينها، وهذا ما جعل المرضى يزدحمون على بيوتهم[3].

أما أبو عباس السبتي شفا طفلا مصابا بجذام وذلك بإعطاءه حبة خيار، وكان تطبيبه بالأعشاب والخضر، وهذا التطبيب نجده عند أبو يعزى، وذلك بعلاجه بأوراق الدفلى وورق الزيتون[4].

ج- قضاء حوائج العامة وإصلاح ذات البين:

[1]- ابن حرزهم: كان عالما فقيها فاسيا عارفا بالعلم الظاهر والباطن، ويميل إلى هذا الخير أكثر، وكان أبو مدين شعيب يتردد عن مجلسه، ومن تلاميذه أيضا عبد الله التاودي، رحل إلى مراكش فدرس بها العلم وقدم بها مواعظ وتوب ناسا بها، تةفي سنة 559هـ، وقبره بفاس، للمزيد، ينظر: التميمي: المصدر السابق، الق2، ص 15، التنبكتي: المصدر السابق، ص 310.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 160.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 477.

[4]- البشير غانية: المرجع نفسه، ص 247، 248.

وهذه الخطوة كانت من النقاط الأساسية في التفاف المجتمع حول المتصوفة، فقد كان لهم دور كبير في التصدي لرفع الضيم والمظالم والتصدي لها ودفعها عنهم، فالمتصوفة كانوا بمثابة الملاذ الذي يلوذ به المظلومين ومساندة أهلهم ضد الجور الذي يلحقهم من الطبقة الحاكمة، وكانت هذه الأخيرة تسمع وتستجيب لهم، نظرا للمكانة والخطوة الكبيرة التي كانت تتمتع بها طبقة المتصوفة في قلوب العامة، وهذا ما زاد من اقبال العامة على المتصوفة وإقبالهم عليهم وميلوهم إلى فلك التصوف[1].

كما كانوا يقومون بقضاء مطالب المحتاجين من المريدين وتجهيز العرائس غير القادرين على تجهيز أنفسهم، كما قاموا بتزويدهم بكل ما يخصهم[2]، ويتجلى دور المتصوفة في الإصلاح بين الأهالي في الحروب وقضاء حوائج الناس، وذلك يتكفل برعايتهم[3].

ويتجلى دور المتصوفة في المحافظة على الأسرة وتماسكها والبعد عن التفرقة والشتات، فالقطب أبو مدين شعيب نصح تلميذه الذي غاضبته زوجته ليلا، وعزم وأسر على فراقها ومقاطعتها بأن يعيدها وأفتى له بأن يعتبرها كفارة، وأن لا يعود على فعل ذلك، وهذا ما يتضح لنا أن المتصوف كان يأدب المجتمع في التعامل مع الزوجة، وهذا ما فعله أبو القاسم القرطبي (ت 662هـ/ 1264م) مع رجل ترك زوجته بمجرد أنها أنجبت له بنتا[4].

وحارب المتصوفة الكبر في المجتمع الموحدي وحثوا الأفراد على التواضع، وفي هذا الصدد يقول أبو مدين شعيب "لا ينفع مع الكبر عمل"، والإختلاط بالنساء والخلوة بهن، وغض البصر والإبتعاد عن الشبهات، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وغرس المحبة في الله،

[1]– محمد بركات البيلي: المرجع السابق، ص 102.

[2]– شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 100.

[3]– كمال أبو مصطفى: جوانب الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الأوسط من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، د.ط، الإسكندرية، 2008م، ص 107.

[4]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 91.

وليس لغرض من أغراض الدنيا، وهذا ما تمثل في علاقة المتصوفة ببعضهم وعلاقتهم مع المريدين[1].

إن علاقة المتصوفة بالسلطة قد كانت علاقة إحتوائية، وعلاقة متوترة في بعض الأحيان، لأن السلاطين الموحدين كانوا يخافون من العامة التي كانت مؤيدة للمتصوفة وتحضر مجالسهم، وهذا ما جعل السلاطين الموحدين يعملون على تضييق الخناق عليهم، والواضح أن علاقة المتصوفة بالعامة كانت علاقة حسنة، فقد كان العامة يذهبون لهم لحل قضاياهم، ووجدوا منهم آذان صاغية إلى مطالبهم.

[1]– حسين سيد عبد الله مراد: المرجع السابق، ص 90، 91.

الفصل الثاني:

تأثير الفقهاء بمن حولهم

الفصل الثاني: تأثير الفقهاء بمن حولهم.

المبحث الأول: علاقة الفقهاء بالخلفاء.

لم يبلغ الفقهاء مكانة عالية في الدولة الموحدية كما بلغوه في الدولة المرابطية، وذلك لأن الدولة الموحدية قامت على أساس محاربة تسلط الفقهاء، وهذا ما جعل من ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130م) يقف في وجه الملثمين مشتغلا هذه النقطة، لكن هذا لم يمنع العلماء والفقهاء من التمتع بمنزلة مرموقة إبان حكم الموحدين، باعتبار أن الدولة قامت على أساس داعية ديني، فقد كان المشتغلين بمذهب الدولة لهم مكانتهم الخاصة[1]،ومن هنا نطرح الإشكال التالي: كيف كانت علاقة الفقهاء بالخلفاء الموحدين؟ وأين تكمن هذه العلاقة؟ وفي ما تتمثل؟.

المطلب الأول: علاقة الود والتقارب.

اتسمت علاقة الخلفاء والخلفاء الموحدين مع فئة الفقهاء بالود والمعاملة الحسنة، فهذا الخليفة عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/1163م)، قام بتقريب الفقهاء واستعان بهم في توطيد دعائم دولته وأخذ برأيهم وأحسن لهم[2]، وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي "كان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم محبا لهم ومحسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجواز بحضرته ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"[3]، واستعان بهم بتعليم أبنائه وإدارة خزانة كتبه، كما كان يستعين بهم في المناسبات العلمية، إذ كان يكلف المالقي بالخطابة والصلاة به ويحسن سماع صوته[4]، وكان مجلس عبد المؤمن

---

[1] – حسين علي حسن: المرجع السابق، ص 339.

[2] – سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الموحدون: مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500هـ– 558هـ/ 1100م– 1163)، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.س.ن، ج5، ص 276.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 144.

[4] الحسين اسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي(518–668هـ/1125–1270م)،د.ن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010، ص 120.

يحضره العلماء والفقهاء والقضاة، فضم مجلسه الفقيه أبو الحسن الإشبيلي وابن الجبل وأبو بكر وابن ميمون القرطبي (ت 576هـ/ 1180م)[1]هذا الأخير الذي أعطى له منصب القضاء في عهده، كما كان يحترمهم ويود سماع حديثهم، فعند التقائه بالقاضي عياض في سبته (ت 544هـ/ 1145م) عزم على العفو عن سبته وقبل دفاع القاضي عنها، يقول صاحب الإستقصا: «وبادر القاضي عياض إلى لقاء عبد المؤمن، فاجتمع به بمدينة سلاحين كان ذاهبا إلى مراكش فأجزل صلته»[2].

وما وطد هذه العلاقة هي الأموال التي كان يدفعها الخليفة إلى الفقهاء، فالعالم ابن أبي الصقر كان إذا حضر مجلس الخليفة منحه في المرة الواحدة خمسمائة درهم[3].ومنح عبد المؤمن منصب القضاء لحجاج بن يوسف[4] (ت 572هـ/ 1176م)، وأقر بن صاحب الصلاة إلى الهبات والعطايا التي نالها هو وأصحابه حين التقى بالخليفة عبد المؤمن سنة (566هـ/ 1171م) وقربهم إليه وأكرم مجلسهم، وتعرض في حديثه إلى الفقيه أبو الحسن الإشبيلي بقوله: "كان الفقيه أبو الحسن الإشبيلي هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة عند حضور الوفود، فصار عند الخليفة في العلوم والمذاكرة أول داخل وآخر داخل"، وهذا راجع إلى اهتمام الخليفة بالعلم وأهله، وعلاقة الخليفة بأصحاب العلم[5]، فعبد المؤمن كان شاعرا

[1] – أبو بكر ميمون القرطبي: هو محمد بن عبد الله بن ميمون خرج من مدينة قرطبة، ودخل مراكش كان متقدما في علم اللسان والأدب، درس بالبيت المؤمني، توفي في مراكش سنة 576هـ– 1180م عن عمر يناهز التسعين عاما، للمزيد ينظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.ن، ص 159.

[2] – الناصري: المرجع السابق، ص 113.

[3] – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 340.

[4] – حجاج بن يوسف: كان من قضاة عبد المؤمن بن علي وخطيب مراكش، وهو من أهل العلم والرأي السديد، توفي مكفوف البصر بالطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572هـ. للمزيد ينظر: أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد المالك ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.ن، ص 210.

[5] – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 335، 341.

وأديبا، وعمل على مبدأ المنافسة بين العلماء، وذلك من أجل الرقي بالدولة[1]، وقام بتحسين وضعية طلبة الحضر وأعطى لكل واحد منهم 1000 دينار من أجل تحسين أحوالهم المادية وتفرغهم لطلب العلم[2].

وجعل عبد المؤمن بن علي الفقهاء الذين في صفه أداة للرد على معارضيه، وكانوا يأخذون في هذا كل من له القدرة على الحجة والبرهان، وكمثال على ذلك ما أمر بكتابته ضد القرطبي أبي الحسن عبد المالك بن عبد الملك بن إياس[3].

وصار على نفس النهج الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت580هـ/1184م)، إذ قام قام أبو يعقوب يوسف بن علي باستقطاب الفقهاء وجذبهم إليه، وفي هذا الصدد يقول بن أبي زرع: " وفي سنة أربع وستين وفد عليه أهل البلاد إفريقيا والمغرب والأندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء...برسم السلام والمطالعة بأحوال بلادهم، فوصلت الوفود إلى مراكش، فسلموا عليه، ووصل الجميع كلا على قدره، وأوصاهم بما أراد، وكتب لهم الأوامر بحاجاتهم وشؤونهم، وتصرفوا شاكرين".[4]

ومن بين الفقهاء الذين استدعاهم إلى حضرته أبو الفضل بن محمد بن علي القسي (ت 598هـ/1202م) والمعروف بابن محشرة، فارتحل من بجاية قاصدا حضرته، وذلك من أجل منصب يليق بعلمه وفقهه[5].

---

[1] – صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991م، ص 48.

[2] – الحسين اسكان: لمرجع السابق، ص 119.

[3] – محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، 1989م، ص 15.

[4]– ابن ابي الزرع: المصدر السابق، ص 210.

[5] – أبو العباس الغبريني: المصدر السابق، ص 53.

كان للقاضي عياض[1] مع أبو يعقوب يوسف علاقة طيبة، إذ نجده يمدحه في أبيات شعرية وهي:

فؤاده بضياء العلممنشرح ***ووجهه بجمال النور موسوم
وكفة بطنها بالخير منهمر *** وظهرها لعهود الله ملثوم
العلم قيمته والحلم شيمته ***طابت أرومته والنفس والخيم
لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته*** غنى وعز وإرشاد وتعليم

وهذه الأبيات تدل على اهتمام الخليفة بالعلم وأهله، وأن العلاقة حسنة بينهما، وهذا ما جعله يصدر أبياتا في حقه [2].

وقد عمل الخلفاء إلى استمالة الفقيه والعالم إلى حاشيتهم، فقد تولى قضاء قرطبة ومراكش محمد بن عيسى المومناني وكان مفتيا عارفا بالعلوم والأصول[3]، وكان الخلفاء الموحدون يجلبون كل من يمتلك علما وفقها وفصاحة لمجلسهم أو لمنصب القضاء، فأحمد بن عبد الرحمان بن الخطيب ولي قضاء مراكش، وكان من أكثر الفقهاء حظوة عند بني

[1] – القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، ولد سنة 476هـ بمدينة سبتة، وهو مجتهد وأصولي وخطيب، ومن العلماء بعلم النحو واللغة والفقه، كان حافظا لمذهب مالك، ومن مؤلفاته كتاب العقيدة، العلوم الستة، السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي مغربا سنة 544هـ. للمزيد ينظر: أبي عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، ط2، مطبعة فضالة، المغرب، 1982م، ص 5، الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض علام الغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476هـ- 544هـ)، ط1، دار القلم، دمشق، 1999م، ص 34.

[2]– المقري التلمساني: المصدر السابق، ص 362.

[3] – التبكتي: المصدر السابق، ص 379.

عبد المؤمن ولقد "أسهموه ما لم يسهموا لأحد" فولي الخطبة ببجاية وطالت مدته فيها[1]، وابن مسعود العبدري كان مقدما في مجلسه مقبول الكلمة عنده، يستشيرونه في أمور الدولة[2]،

وأبي عبد الحق الإشبيلي (ت 581/ 1185م) خطة القضاء، ولم يبق الفقيه أبو يوسف إبراهيم الأغماتي (ت 578هـ/ 1182م) في وظيفته طويلا، وأصر على الخليفة بالاستعفاء[3].

وهذا الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1199م)، حيث أنه يحب الاجتهاد ويكره التقليد، وكان مجلسه يعج بالمناظرات ويحكي أبو الفضل التيفاشي قال: "جرت مناظرة في مجلسه بين الفقيه أبي الوليد بن رشد (الحفيد) والوزير أبي بكر بن زهر"[4].

ويقول تاج الدين بن حموية «دخلت مراكش أيام المنصور، فوجدت مجالسه مزينة بحضور العلماء والفضلاء، وكانت تفتح بتلاوة القرآن ثم الحديث...وهو يجيد حفظ القرآن ويتكلم في الفقه»[5]، والجدير بالذكر أن المنصور قرب إليه العلماء والفقهاء فتوافدوا عليه من كل حدب وصوب، وقد عمل أستاذا لأبناء المنصور في القرآن والتجويد، وأتى بعبد الله بن محمد بن سليمانااللخمي من أهل إشبيلبية، يكنى أبا محمد، واستأذنه لتدريس أولاده، وقد وصف بأنه كان شديدا في التعامل معه.

وكان الخلفاء يستدعون الفقهاء إلى الذهاب معهم في الحروب، وذلك دليلا على علو مكانتهم عند الحكام، وقد رافق المنصور في غزاوته فقهاء من بينهم نجبة بن يحي إلى أن

---

[1] – عادل نويهض: معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، ص 134.

[2] – جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م، ص 103.

[3] – لخطر بولطيف: المرجع السابق، ص 375، 376، 377.

[4] – الناصري: المرجع السابق، ص 201.

[5] – علي محمد الصلابي:صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي دولة الموحدين، د.ط، دار البيارق، عمان، 1998م، ص 163.

توفي سنة (591هـ/ 1195م)[1]، كما دعم المنصور العلماء بأموال طائلة، فالعالم محمد بن يوسف قام بتعليم أولاد المنصور، وهذا ما كان سببا في ثرائه واقتنائه المزارع الجيدة بمراكش ووصل ربحه منها خمسمائة درهم في اليوم الواحد، واشترى الحمام الذي بالعدوة الشرقية من ساقية مراكش والأبنية المجاورة له[2].

قرب المنصور أصحاب العلوم الدينية، فضم مجلسه عبد الملك بن القطان (ت 628هـ/ 1231م)، وأعطى له تدريس طلبة علم الحديث في عاصمته، ونال جاها عريضا في عهده، والفقيه داوود بن سليمان ولى قضاء عدة مدن أندلسية وفي مقدمتها بلنسية[3]، وقرب إليه ابن حبيش وكان يتقن الفقه وملما بعلم الجرح والتعديل[4].

وهذا ما قصده بن خلكان في قوله: «بسط أحكام الناس على حقيقة الشرع» وهذه اشارة إلى اهتمامه بالفقه، ففي عهده قدم لنا صاحب المعجب قضاتهم حسب تسلسلهم وهم: بن مروان الهمذاني، أحمد القرطبي، أحمد بن بقى، وقد جاءت نسبهم في الكتب إلى الخليفة، لأنهم من أهم القضاة المقربين له، ومما وطد هذه العلاقة تلك الأموال التي كانوا يحصلون عليها القضاة، فالفقيه والقاضي عيسى بن عمران أحد قضاة فاس[5] نال رتبا عالية عند

---

[1] – ليلى نجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (580هـ– 595هـ/ 1184م– 1195م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أحمد السيد دراج، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1979م، ص 475.

[2] – جمال طه: المرجع السابق، ص 103.

[3]– بلنسية: قاعدة من قواعد الأندلس، تقع في مستو من الأرض، وهي على نهر جار، ينتفع به سكانها وتسقى منه بساتينها، وتبعد ثلاث أميال عن البحر، ومنها إلى سرقسطة تسع مراحل. للمزيد ينظر: ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس أبي عبد الله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج2، ص 565.

[4] – ليلى نجار، المرجع السابق، ص 79، 80.

[5] – فاس: مدينة مغربية يشقها نهر وهي جانبان يليهما أميران مختلفان، بها نهم كبير جاري المياه، وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها إدريس بن أدريس. للمزيد ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص 89.

المنصور[1]، وكانت علاقة الفقيه محمد بن عبد الملك (ت 595هـ/ 1199م) بالخليفة المنصور علاقة حسنة، فقد كان يمدحه ويزيد في ماله وجاهه، ولما مات حضر جنازته وصلى عليه[2].

كما شهدت فترة الناصر والمستنصر تقرب العلماء والفقهاء إلى البلاط الموحدي، إلا أن المؤرخين يصفون هذه العهود بعهود الضعف والانهيار للدولة الموحدية.

فقد اهتم الخليفة الناصر بالعلماء وقد أجزل لهم الهدايا، وجعل لهم رواتب يقتاتون منها، فأعطى الناصر مبلغا قدره ألف دينار لعلي بن محمد بن علي بن خروف النحوي جائزة له لتقديمه نسخة من كتاب سيبويه، وجلب الناصر فقيها أسيرا دمشقيا كان في يد النصارى، وأسكنه مراكش وأحسن إليه وأجلسه مجلسه، وفي هذه الإشارات دلالة على اهتمام الناصر بالفقهاء وتقربه إليهم[3].

كذلك فعل الخليفة المستنصر فقد كان محبا إلى أهل العلم والفقه، يستدعيهم إلى مجلسه، وهذا ما أكده الغبريني في كتابه عنوان الدراية، فالفقيه أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري (693هـ/ 1297م) عندما دخل المغرب والتقى بالمستنصر «فكان يوصف رياسته وعلو همته ما دل على فضيلته وانتخاب طينته، وكان محبوبا عند العامة لقربه منه»، ويضيف الغبريني قائلا: "ولم يزل يخلع ولاية القضاء بحاضرة إفريقية ويلبسها خلعا أحسن من لبس، ولبسا أحسن من خلع، لأنه كان لا يخلعها إلا لمثلها وما هو أسنى منها"[4].

[1] – جمال طه: المرجع السابق، ص 106.

[2] – محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراش، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1990م، ج2، ص 75.

[3] – شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 98.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص 120.

وبلغ الفقهاء مكانة رفيعة عند خلفاء الموحين فهذا الفقيه بن عميرة المخزومي (ت 650هـ/ 1252م) قضاء مليانة[1]، ثم قضاء رباط الفتح وقضاء مكناسة الزيتون، وحصل على ثروة عظيمة من الخلفاء الموحدين، فقدر المال المنهوب منه والذي سلبه بن مرين بأربعة آلاف دينار عشرية، وهذا راجع إلى الأموال التي كان يدفعها الخلفاء والولاة إلى الفقهاء والقضاة[2]، وأكرم القاضي أبو بكر بن خلف قاضي فاس (ت 599هـ/ 1203م)، ونال جاها ومالا نتيجة اتصاله بالخلفاء الموحدين، وكذلك محمد بن عبد الله بن طاهر، ويرجع نسبه إلى الإمام على كرم الله وجهه ولي قضاء مراكش سنة (587هـ/ 1191م)، وحصل على أموال ضخمة نتيجة تقربه إلى الأسرة المؤمنية، يقول المراكشي على لسان أبا عبد الله الحسيني «جملة ما وصل إليه...منذ أن عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينارا خارجا عن المراكب والإقطاع»، وهذا ما يدل على الالتفاتة التي حظي بها الفقهاء الموحدين في الدولة الموحدية[3].

ويذكر الغبريني في كتابه عند ترجمته للفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري (ت 682هـ/ 1289م) حين التقى بالخليفة المستنصر، وأحسن التعامل معه بأسلوب مستعذب وكلام طيب[4].

وعمل الخلفاء الموحدين على الاهتمام بالعلماء الأصاغر الذين يمتلكون فطنة وكفاءة، وهذا ما نجده عند الخليفة والخليفة الناصر، هذا الأخير الذي منح لابن رشد الثاني قضاء

[1] – مليانة: مدينة قديمة وكبيرة بناها الرومان، وأطلق عليها ماكنانة، لكن العرب حرفوا هذا الاسم، تقع على قمة جبل على نحو أربعين ميلا من البحر أي عن شرشال والمدية، محاطة بأسوار عالية عتيقة. للمزيد ينظر: الحسن بن محمد بن الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الاخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2، ص 35.

[2] – جمال طه: المرجع السابق، ص 106.

[3] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 343.

[4] – الغبريني، المصدر السابق، ص 95.

المغرب وهو ابن 27 سنة من عمره، وقرب أبي بكر ابن زهر ورافقه في مجلسه وهو لم يتجاوز سن 25 سنة[1].

المطلب الثاني: علاقة التعارض والخلاف.

على الرغم من احسان خلفاء الموحدين لفئة الفقهاء، إلا أن ذلك لم يكن مانع من وجود من الفقهاء من عارض الخلفاء الموحدين، وتمثلت معارضة الفقهاء للخلفاء الموحدين بتخلي الفقيه على المنصب الموجه له، أو في تلك الثورات التي قام بها الفقهاء على السلطة الموحدية.

ففي إشبيلية وقف بعض الولاة على رسالة للفقيه أبي محمد بن خليل السكوني (ت 580هـ/ 1184م) تضمنت نظما وشعرا، فأعجب بها، فأرسل إليه إلا أن الفقيه لم يحضر للقائه وانقبض عن ذلك، فبعث له الوالي مئة دينار، فرفض قبولها واستعصم واعتذر، وفي بجاية كان الفقيه أبو زيد اليزناسني (ق 7هـ/ 13م) فقيرا، فوجه له الخليفة مالا فلم يقبل مكافأته، وفي هذه الإشارات دليل على أن هناك تعفف من طرف الفقهاء المالكية كأبي عبد الله بن مجاهد (ت 574هـ/ 1179م) الذي رفض القضاء "وامتنع حتى أعفى"[2].

وأبي عبد الحق الإشبيلي (ت 581هـ- 1185م) تولى القضاء والخطابة ببجاية «فامتنع عن ذلك وأبى»، أما الفقيه أبو يوسف إبراهيم الأغماتي (ت 578هـ/ 1182م) – قاضي الجماعة- فإنه لم يبقى في وظيفته طويلا، وأصر على الخليفة بالاستعفاء، وفي بلنسية أكره الفقيه أبو الحسن بن عبد العزيز البلنسي (ت 593هـ/ 1197م)، ولم يتقاضى راتبا من القضاء، حتى إنه اضطر إلى بيع أغراضه لتغطية نفقاته مدة إقامته، ثم إنه استغنى فأعفى[3].

---

[1] – محمد المنوني، المصدر السابق، ص27.

[2]– لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 375-376.

[3]– لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 378.

كما تعرض العديد من الفقهاء إلى محن عديدة مثل التهجير أو النكب بهم، أوالقتل، أو التغريب عن أوطانهم، ومنهم من توبع وشدد الخناق عليه، لبعض الفقهاء والمحن التي تعرضوا إليها من طرف السلطة الموحدية:

فهذا الفقيه محمد بن إبراهيم الحكمي[1](ت 567هـ/ 1172) قتل، وكذلك الفقيه القاضي علي بن محمد اللخمي[2] (ت 626هـ/ 1229م) قتل هو أيضا، كما نكب بالفقيه أبو القاسم المليلي (ق 6هـ/ 12م)[3].

كما اعتقل وسجن الفقيه الطاهر عمارة بن يحيلى بن عمارة الحسني[4] (ت بعد 585هـ/ 1189م) والذي سيق مصدفا في الحديد هو وبعض أصحابه من بجاية[5]، كما امتحن في آخر عمره الفقيه أبو بكر بن خلف الداني (ت 581هـ/ 1185م)، وقبض عليه واعتقل، كما تعرض لمحنة السجن أيضا الفقيهان أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد الأزدي المعروف بابن أبي الأصفر (ت 564هـ/ 1169م)، وأبو الحسن التازرقون (ت 621هـ/ 1224م)[6].

ومن المحن التي تلقاها الفقهاء في العصر الموحدي التهجير والتغريب، فهذا القاضي عياض (ت 544هـ/ 1149م) لما اضطربت أحوال الموحدين سنة 543هـ تلاشت حاله

[1] – هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن حرز الحكمي من أهل غرناطة، ولي قضاء ألشن وغيرها من الكور، سعي به إلى السلطان وقتل سنة 567هـ، ينظر: ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ص 40.

[2] – هو علي بن محمد بن أحمد بن أبي العافية اللخمي، من أهل مرسية، ولي قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة، كف بصره آخر عمره، أثار فتنة أدت إلى هلاكه، قتل بمرسية سنة 626هـ. للمزيد ينظر: ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج3، ص 235.

[3] – الخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 397.

[4] – هو عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني، يكنى بأبا الطاهر، كان متقدما في علم العربية والأدب، وله تأليف في علم الفرائض منظوم، تواشيحه يضرب بها المثل. ينظر: الغبريني: المصدر السابق، ص 45.

[5] – بن عياش الطاهر: الفقهاء المالكية والسلطة الموحدية في المغرب الإسلامي (510هـ– 668هـ/ 1116م– 1269م)، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الحاج عيفة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، 2014– 2015م، ص 99.

[6] – الطاهر بن عياش: المرجع السابق، ص 99.

والتحق بمراكش مشردا بها عن وطنه، وكانت بها وفاته[1]، وكذلك الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن خلف غربه الموحدون من وطنه المرية[2] إلى مراكش وتوفي بها، كذلك غرب الفقيه أبو محمد بن عيسى الفاسي[3] (ت 597هـ/ 1201م)، وأيضا أبو الفتوح بن فاخر الإشبيلي (ت 636هـ/ 1238م) هو كذلك توفي مغربا بمراكش[4]، وأيضا من المحن التي تعرض لها الفقهاء العزل من المناصب كما حصل للفقيه ابن القطان الفاسي الذي كانت له العديد من المناصب نزعت أغلبها منه، ومنهم من صرف عنه منصبه مثلما حدث للفقيه القاضي محمد بن علي بن مروان الوهراني (ت 601هـ/ 1205م)[5].

كما تعرضت السلطة الموحدية إلى عدة ثورات من طرف الفقهاء، ومن هذه الثورات التي قامت ضد الحكم الموحدي هي:

[1] – ابن فرحون أبو الوفاء إبراهيم بن علي اليعمري المدني: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث العربي، القاهرة، د.ط، 1976م، ج2، ص 48.

[2] – المرية: وهي على ساهل البحر، لها قلعة المنيحة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، ساحلها أفضل السواحل، ولها مدن وضياع متصلة الأنهار. ينظر: أحمد بن محمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج2، ص 162- 163.

[3] – عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الأصل، الفاسي الدار، المكناسي الإقبار، علامة نقيه أديب شاعر مفلق، تولى قضاء مدينة فاس وكذلك قذاء بسطة وغيرها، أنظر: ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج4، ص559.

[4] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 380.

[5] – الطاعر بن عياش: المرجع السابق، ص 100- 101.

- ثورة الفقيه بن الفرس[1]:

قام هذا الفقيه بثورة على الموحدين، كان صاحب مبادئ يريد تحقيقها وتتعارض مع الدولة الموحدية، وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الأيام، وتكلم بما خشي معاقبته في عهده[2].

والرأي الذي طرحه في مجلس المنصور بإمامة المسلمين، فقد ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإمامة في قريش، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان"[3]، ولما كان الموحدون ليسوا من قريش ظن ابن الفرس أن المنصور سيحقد عليه، فخرج من مجلس المنصور والاختفاء عن الأنظار[4].

ومن أهم المبادئ التي دعا بها ابن الفرس هي: الإمامة[5]، وأنه قحطاني، وذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصا»[6]، فدعا إلى نفسه فأجابه الجم الغفير ودعوه بالخليفة وحيوه بتحية الملك، فكثر أتباع ابن الفرس، وكان من شعره أنه قال:

---

[1] – وهو عبد الرحمن بن عبد الرحيم الخزرجي أبو القاسم بن الفرس، يعرف بالمهر، كان فقيها جليل القدر رفيع الذكر عارف النحو واللغة والأدب، رائق الشعر سريع البديهة، جاريا على أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه، تفقه ومهر في العقليات والعلوم القديمة. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الولاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ب، 1965م، ج2، ص 93.

[2] – السلاوي: المرجع السابق، ص 2018.

[3] – مسلم:أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسأبوري (ت 261هـ/ 875م)، صحيح مسلم، تح: نصر بن محمد الفارابي، دار طيبة، ط1، 2006م، ص 884.

[4] – الطاهر بن عياش: المرجع السابق، ص 114.

[5] – الإمامة: هذا باب في العلم، وهو وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة، وهي ركن من أركان الدنيا وأعمدة من أعمدة الشريعة، ولا يصح قيام الحق بالدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى قيام الساعة، أنظر: محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، د.ط، د.ن، الجزائر، 2007م، ص 2293.

[6] – مسلم: صحيح مسلم، ص 1331.

قولا لأبناء المؤمن بن علي***تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان وعالمها***ومنتهى القول والغلاب للدول

والناس طوع عصاه وهو سائقهم*** بالأمر والنهي بحر العلم والعمل

وبادروا أمره فالله ناصره ***والله خادع أهل الزيغ والميل[1]

فبعث له الناصر بجيش عظيم، فأحاطت به وقطع رأسه وعلق على باب مراكش[2]سنة (601هـ/ 1205م) وهو ابن 36 سنة[3].

- ثورة الجزيري:

قامت في سنة (586هـ/ 1190م)، ولم يكن صاحب الثورة دجالا مشعوذا أو غاويا مفسدا[4]، كما يصفه صاحب البيان المغرب أنه «يسعى للفساد بالتكتم والاستتار، ويلتمس أبدا جاهلا من العوام يحادثهم ويطابقهم ويلابسهم ويرافقهم»، ويقول أيضا: "كان هذا اللعين في أوليته يتعلق بأذيال الطلب، ويلهج منها بحفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات"[5]، بل كان عالما محصلا، وداعيا مصلحا، وكان ينعي على الموحدين انحرافهم على نهج مهديهم، وصيروا الخلافة ملكان وتوسعهم في الرفاهية وإهمالهم حق الرعية، حتى قال:

في أم رأسي شعر*** يبدو لكم بعد حين

لأبلغن مرادي *** إن كان سعدي معين

---

[1] – السلاوي: المرجع السابق، ص 218.

[2]– مراكش: شمال أغمات على اثني عشر ميلا، منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة 470هـ، وقيل 459، وهي في وعاء من الأرض، يوجد حولها جبال إلى جبل صغير يسمى إيجليز، وهي كثيرة الزرع والضرع، وبحائرها لا تحصى. ينظر: الحميري المصدر السابق، ص

[3] – السيوطي: المصدر السابق، ص 93.

[4] – لخضر بولطيف:المرجع السابق، ص 382.

[5] – ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب قسم الموحدين، ص 207.

أولا فأكتب ممتن*** سعى لإظهار دين[1]

ومن شدة براعته كسب القلوب مما جعل من الأنصار من يلتحق به أينما وجد، ولم يتمكن من القبض عليه وإخماد ثورته إلا بعد جهد جهيد، وكانت هذه الثورة وراء اعتقال عدد من الفقهاء وتشريدهم وقتل بعضهم[2].

كما قامت ثورة على الموحدين تزعمها الفقيه القاضي عياض، حيث أن حكام الموحدين ادعوا العصمة[3]، والمهدية[4] إلى إمامهم بن تومرت، هذا الأمر أدى إلى الفقهاء بثورات على الموحدين ضد الاعتقاد الفاسد، وقد تجسدت هذه المقاومة في ثورة أهل سبته بعد سماعهم أن والي سبته ينوي قتل القاضي عياض، وكان أهل سبته يحترمون القاضي عياض، وينظرون إليه نظرة إجلال، ومن أجل قاضيهم قاموا بثورة على الموحدين واضطر القاضي عياض إلى أن يكون إلى جانبهم[5].

عمل الحكام والخلفاء الموحدين على تقريب الفقهاء والعلماء والإحسان إليهم، والإكرام لهم، ورفع قدرهم، والإغداق عليهم بالأموال، ويعظمون أمرهم، وكانت مجالسهم يحضرها الفقهاء والعلماء، لكن الخلفاء الموحدين اتخذوا منهجا آخر مع الفقهاء الذين عارضوا سلطانهم، فقام الموحدون بقتل الفقهاء، وتشريدهم، وتغريبهم عن بلدانهم، فتعرض الفقهاء إلى التهجير والسجن، كما قام الموحدون بقتل الفقهاء الذين قاموا بالثورات، وحتى الذين شاركوا

[1] – المقري: المصدر السابق، ج4، ص 65– 66.

[2] – لخضر بولطيف: المرجع نفسه، ص 283.

[3] – يقول ابن تومرت حول العصمة: أن يكون الإمام معصوما من الظلال ومن الفتن ومن الجور ومن البدع ومن الكذب، ومن الجهل، وأن يكون معصوما من الباطل. ينظر: محمد بن تومرت: المصدر السابق، ص 229.

[4] – ويقول ابن تومرت حول المهدي: السمع والطاعة له واجب، والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان والتصديق به واجب، والرجوع إلى علمه واجب، ووالاستمساك بأمر حتم ورفع الأمور له بالكلية واجب، والإعراض عنه بعد، وعصيانه بعد، وإهمال أمره بعد، وخصصه الله بما أودع فيه من معاني الهداية، ووعده قلب الأمور عن عاداتها، وهدمها بهدم قواعدها، ونقلها إلى الحق بإذن الله حتى تنتظم الأمور على سنن المهدي. للمزيد ينظر: محمد بن تومرت: المصدر السابق، ص 234.

[5] – الطاهر بن عياش: المرجع السابق، ص 111– 112.

فيها منهم، وهكذا كان الموحدون مع الفقهاء ودودون مع الذين رضوا بهم صارمين مع الفقهاء المعارضين لهم.

المبحث الثاني: أثر الفقهاء في المجتع.

كما كان هناك علاقة بين السلطة والحكام الموحدين بين الفقهاء، كذلك كانت هناك علاقة بين الفقهاء والعامة من المجتمع، فكان للفقهاء دور مهم في الحياة العامة للمجتمع، ولهم دور فعال، لكن فئة الفقهاء لقيت نقدا ومعارضة من طرف فئة الشعراء، وللإجابة على هذا نطرح بعض الأسئلة منها: في ماذا تمثل دور الفقهاء في الحياة العامة للمجتمع في عصر الموحدين؟ ولماذا وجهت فئة الشعراء نقدا ومعارضة إلى فئة الفقهاء؟

المطلب الأول: دور الفقهاء في التعليم وترسيخ الدين.

تظهر علاقة الفقهاء بالعامة، وذلك في مخالطتهم في مجالس العلم والسؤال عن الأمور الفقهية، ومعرفة الأحكام، ومن بين الفقهاء المشتغلين بمهنة التعليم العامة، أو الطلبة من العامة نقل لنا الغبريني في كتابه عنوان الدراية صورة عن مجلس الفقيه أبي زكريا يحيى الزواوي (ت 611هـ/ 1214م) الذي كان عامرا بعلوم الحديث، وعلوم الفقه، وكان يعتمد على أسلوب الترهيب والخوف «ما يمر بمجلسه إلا ذكر النار والأغلال والسعير، وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه، هذا هو حاله دائما»[1].

مقسما مواعيد حلقاته، ميعاد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة لسماع الناس تفسير القرآن، وميعادا بعد صلاة الظهر لسماع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الناس يقبلون على مجلسه، فنهل منه علم كثير[2]، ومن أضرب هؤلاء الفقهاء الذين امتهنوا تعليم الناس وتثقيفم نجد أيضا عبد العزيز بن مخلوف المكنى بأبا فارس (ت 686هـ/ 1287م) الذي لقبه الغبريني بخزانة مذهبمالك[3] . كان له درس بالغداة، ودرس بين المغرب والعشاء،

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص 127.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص 127.

[3] – التنبكتي: المصدر السابق، ص 268.

وواضبعلى هذه الحالة مدة طويلة في بجاية، ودرس عنده خلق كثير، وقد كان على حد تعبيره أكثر الناس أصحابا والينهم جنابا[1]، وعرف ابن محرز (ت 655هـ/ 1257م) بحسن التلقين والإلقاء، وقد قيد عنه أصحابه الكثير، كان معظمها عند أهل بجاية[2]، أما بلاد الأندلس فقد عرفت إشبيلية[3] مجلس يحيى بن أحمد بن خليل المكنى بأبا بكر (ت 627هـ/ 1230م) الذي كان من أكبر مجالس الأندلس، وأجمعها لأشتات المعارف، كالأدب والشعر والبلاغة والخطابة، وأخذ عنه مجموعة من الطلبة، كما امتلك أبا بكر حظوة عند الجمهور الموحدي، وذلك من خلال معاملته الطيبة لطلبته[4]، واعتمد في خطبته على توعية العامة، ومن بينهم محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن سيد الناس (ت 659هـ/ 1261م) إذ كان يعظ أهل بجاية في الجامع الأعظم، فكثر الآخذون والسامعون منه والمعتقدون به[5]، ومن هنا كان للفقهاء دور كبير في التعليم وترسيخ المبادئ أيضا.

المطلب الثاني: دور الفقهاء في قضاء مصالح العامة.

قد عمل الفقهاء الذين تبوؤوا مكانة عالية في الحكم الموحدي إلى استغلال نفوذهم وجاههم في مصلحة وخدمة العامة، وقد ترددت في معاجمهم عبارة «كان نافعا بماله وجاهه»، ونجد من بين هؤلاء ابن رشد القرطبي (ت 595هـ/ 1199م)، فقد كان يقضي مصالح أهل الأندلس عامة، ونجد معاصره الفقيه ابن الجد الإشبيلي (ت 586هـ/ 1190م)، حيث كان يشفع فيهم عند السلطان ويدفع عنهم المظالم، وكان بمثابة الواسطة بين الرعية والسلطان، ومشى في نهج أبو مروان الباجي (ت 635هـ/ 1237م)، وكذلك ابن العسكر

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص 63.

[2]– التنبكتي: المصدر السابق، ص 380.

[3] – إشبيلية: مدينة كبيرة عامرة، ذات أسوار حصينة، وأسواق كبيرة، يمتهن أغلب أهلها التجارة بالزيت بين المشرق وإشبيلية، كان بها بنو عباد، والشرق يبعد على إشبيلية ثلاثة أميال، وإشبيلية على نهر كبير وهو نهر قرطبة. للمزيد ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 541.

[4] – التمبكتي، المصدر نفسه، ص 632.

[5] – الغبريني، المصدر السابق، ص 196.

المالقي (ت 636هـ/ 1238م)، حيث كان كانا حريصين في خدمة مصالح الرعية مسخرين نفوذهم في ذلك، وكان الفقيه أبا عبد الله بن عروس الغرناطي (ت 590هـ/ 1194م) مبادرا في قضاء حوائج الناس عند السلطان مهتما بهم حتى ذاع صيته وحسنت ألفاظ الناس معه فكانوا يقصدونه في قضاء حاجتهم[1].

وتظهر علاقة العامة بالفقهاء من خلال حضور جنائزهم، وهذا ما نجده في جنازة القاضي والفقيه عبد المنعم بن الفرس (ت 597هـ- 1201م)، حيث ازدحم الناس على نعشه حتى حملوه بالأكتاف، وهذا ما يدل على حسن تعامله مع العامة وقضائه العادل بين الرعية[2].

وكان الفقيه أبو المطرف بن عميرة (ت 658هـ/ 1260م) يتسرع في بذل مجهوده في مصلحة العامة، وتروي المصادر نزاعا حدث في باجة[3] بين العامة، ووليهم أبي بكر بن الوزير، فلجأ الوالي إلى تزوير عقود على أعيان المدينة، ولما رفعت تلك العقود إلى القاضي فصل فيها، وأخبر أهل باجة الخليفة فيما فصل به القاضي، فاستبدل الوالي بعد أن أقر القاضي بذلك، وهذا ما يدل على أن الفقهاء كانوا مع العامة ضد الوالي المعتمد من إدارة السلطة[4]

[1] – لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص 357- 358.

[2] – النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تح: نخبة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص 110.

[3] – باجة: هي باجة الأندلس، كما توجد باجة إفريقية، وهي من أقوم المدن الأندلسية اختصاصا، سماها القيصر يوليش جاشر بهذا الإسم، وكلمة باجة عند العجم تعني "الصلح"، وتبعد عن قرطبة مئة فرسخ، ومنها القاضي أبا الوليد الباجي، شارح الموطأ. للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 75.

[4] – لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص 360.

المطلب الثالث: علاقة الفقهاء مع فئة الشعراء.

إن الدرجة العالية التي بلغها العلماء، وخاصة من اتخذ علمه ذريعة للتكسب وجمع المال كان موضع نقد وهجوم من طرف العامة، وفي ذلك نجد أن الشعراء قد هاجموا بأشعارهم، وهذا ما فعله بن البني حين هاجم قضاة قرطبة الذين اتبعوا السلطان وليس لهم رأي معه بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم *** كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك *** وقسمتم الأموال بابن القاسم

وركبتم شهب البغال بأشهب *** وأصبغ صبغت لكم في العالم

وتعبر هذه الأبيات عن ضيق الشاعر برياء العلما ء[1] ، وعلقت العامة على نقد العلماء والفقهاء بالأمثال، كما أنها لا تقصد بها الأغلبية، لكنها أكدت على أولئك الذين هاجمهم الشاعر ابن البني سابقا، أي الذين انحرفوا بسلوكهم مثل قوله فيهم: «خاف الله واتقيه ولا تعامل الفقيه»، وقوله أيضا: «الفقيه الدكالي أعمل بقوله ولا تعمل بأفعاله»، وفي هذه الأمثال على سخط العامة من فئة العلماء التي اعتمدت عليها في كسب السلطان وهديته [2].

وقصارى القول أن الخطوة التي نالها العلماء والفقهاء في عهد الدولة الموحدية من الخلفاء كانت معهودة عند الدول التي توالت على حكم بلاد المغرب الإسلامي، لأن حاكم الدولة عادة ما يكون فقيها أو أديبا...الخ، وهذا ما نجده عند الأسرة المؤمنية إذ كان الخليفة عبد المؤمن ومن بعده علماء تشهد مجالسهم مناظرات علمية، ومناقشات دينية، وهذا ما زاد من تقارب الطبقتين (طبقة الخلفاء وطبقة العلماء)، والظاهر أن الخليفة يحتاج إلى العلماء لمعرفة الصواب والخطأ، وللمشاورة والقضاء والفتوى والتدريس والبت في الأمر.

[1] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 342.

[2] – جمال طه، المرجع السابق، ص 103.

الفصل الثالث

علاقة المتصوفة بالفقهاء

الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالفقهاء.

إن العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في الواقع هي علاقة بين نمطين من التفكير والسلوك، نمط اِختص فريقه بتسمية أهل الظاهر[208]، وركزوا في اهتمامهم بمجال علم الشريعة، ونمط اِختص فريقه بتسمية أهل الباطن[209]، وجعلوا مجال اهتمامهم علم الحقيقة، وكان بين المجموعتين اختلاف وتقارب[210]. فأين نلمس ذلك؟

المبحث الاول: نقاط الإختلاف.

تمتع المتصوفة بالتفاف الناس حولهم في عهد الدولة الموحدية، وهذا ما أثار حفيظة بعض الفقهاء، ومن ثم حاولوا النيل منهم والإيقاع بهم، وتشويه مكانتهم، فعملوا على نقدهم[211]، وعمل المتصوفة على نقد الفقهاء للرد عليهم، واتخذوا في ذلك مكانتهم عند الخلفاء، حتى كان من قول أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) للفقيه أبي محمد بن عبد الحق (ت 581هـ/1185م) لما كانا بصدد تفسير الآية الكريمة:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[212]، ولو كنت تستعين بالله لما اِستغثت بالسلطان والوزير[213].

وكثر الاختلاف في الأفعال والأقوال، ففي الأفعال أنكر فقهاء فاس علي أبو يعزى (ت 572هـ/1176م) لمس صدور النساء فقال لهم: "أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة؟ فهلا عدوني واحد من أطبائهم، وإنما ألمس ذوات العاهات للتداوي

---

[208] – فقه الظاهر: وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال الجوارح فيما يخص المكلفين، وهو ما يسمى بالفقه، وحامله يسمى الفقيه، وهم أهل الفتوى، للمزيد ينظر: بن خلدون: شفاء السائل وتهذيب المسائل، المصدر السابق، ص 44.

[209] – فقه الباطن: وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب، ويسمى هذا بفقه القلوب، وفقه الباطن، وفقه الورع، وعلم الآخرة والتصوف. للمزيد ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ص 44.

[210] – لخظربولطيف: المرجع السابق، ص 425.

[211] – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 478.

[212] – سورة الفاتحة: الآية 5.

[213] – لخظربولطيف: المرجع نفسه، ص 428.

بذلك[214]، وقد نقلوا هذه الحادثة إلى أبو مدين وأجازها معتبرا أبو يعزى كطبيب مسلم، وهذا اللمس حسب الضرورة لمعرفة مكان العاهة[215]، وقد سعى بعض الناقمين عليه إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي فسجنه فترة ثم أخلى سبيله حين تأكد من براءته[216].

وكان الفقيه أبو الحسن الصديني[217] (ت 620هـ/1223م) قاضيا بسيطا، وكان يكثر التردد على أحد الأولياء، فكان هذا الأخير ينزعج من زيارته، وقد أخبره بأن يكف عن المجيء له ومحادثته.

ومما رمى به المتصوفة خصومهم الفقهاء إقبالهم على الحياة الدنيوية، وتلمهم للعلوم المهمة لكسب العيش، لا للعلوم التي تنفع أصحابها في الآخرة، فلقبوهم بأصحاب الدنيا وسموا أنفسهم أهل الآخرة، وهذا ما عبر عنه أبو العباس السبتي (ت 601هـ/1204م): "ركن العلماء إلى الدنيا، وبخلوا بها، وغلبوا جانب الرجا"[218].

واعتمد بعض المتصوفة على التأليف للرد على فقهاء الظاهر، فألف أبو علي الحسن المسيلي لهذا الغرض كتاب "النبراس في الرد على منكر القياس"، وقام فيه بدحض آراء الفقهاء، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد، وانتصب أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) لتقرير الفتاوى على مذهب الإمام مالك[219] معتبرا ظهور دجاجلة الدين، وقد عبر عن هذا

---

[214] – أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1973م، ص 564.

[215] – الصومعي: المصدر السابق، ص 121.

[216] –حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 478.

[217] – أبو الحسن الصديني: من أهل فاس، أخذ العلم عن أبي بكر بن طاهر، ولي قضاء غرناطة، كان من أهل المعرفة والفقه، روى عنه أبو القاسم الملاحي وابن عتيق الأزدي، توفي بعد الستمائة. للمزيد ينظر: ابن القاضي: المصدر السابق، ص 470.

[218] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 429.

[219] – الإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي اليمني، ولد سنة 93هـ، ونشأ في المدينة، فسمع أخبار الصحابة وفتاويهم، روى عن الزهري وعبد الله بن دينار، فحفظ القرآن ونبغ في علم الحديث، وألف الموطأ، وينسب إليه =

بقوله: «بفساد الخاصة يظهر دجاجلة الدين»، كما ألف أبو زكريا يحيى الزواوي (ت 611هـ/1214م)مجموعة من المؤلفات خصصها للرد على فقهاء الظاهر، منها كتاب "حجة الأيام وقدوة الأيتام" ردا على الظاهرية وفقهائها[220]، وفي الأقوال نفى الفقهاء أن يكون المتصوفة مبرئين عن حب الرياسة، فأنكروا عليهم ترك التشاغل بالعلم، ولكن أرادوا الوصول إليها ليس عن طريق العلم، بل عن حشد جمهور العامة تحت لوائهم وتفرغهم للعبادة دون تعلم مهنة، وهذا ما كان يثير قلقلة بين فقهاء البلاط الموحدي، عندما تجمع الناس على أبو يعزى (ت 572هـ/1176م) في حين أنه كان أميا متقشفا، ثم إنهم لم يخفوا عدواتهم لأبي العباس السبتي (ت 601هـ/1204م)، إذ كان حسب كتاب المغزى للصومعي ملامتي المذهب فلم تقبله النفوس، فكان مذموما عند الفقهاء ومنتقدا في ألسنتهم[221].

وقد استأسد الفقهاء بدعم من الخلفاء ضد المتصوفة حلبة الصراع، فوشى بعض علماء الظاهر[222] إلى يعقوب المنصور بشأن أبو مدين شعيب، فقال: «إننا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون في كل بلد»، فعمل المنصور بذلك فكتب لصاحب بجاية بأن يحمل له أبو مدين شعيب ففعل[223]، وبلغت الوشاية أبو زكريا يحيى الزواوي، فاستدعى إلى مراكش وانتدب عنه تلاميذه أبو محمد عبد الكريم الحسيني،

=المذهب المالكي، توفي 179هـ. للمزيد ينظر: محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره وآرائه وفقهه:د.ط، دار الفكر العربي، د.م.ن، د.س.ن، ص 24 وما بعدها.

[220] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 213.

[221] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 430.

[222] – المذهب الظاهري: أول من دعا إلى العمل بالظاهر هو داوود الأصفهاني المعروف بالظاهري لشهرته في أخذه بظواهر النصوص، ثم تواصل بعد ذلك في الشرق والغرب كمذهب قائم بذاته، فنشأ في بغداد ثم تطرت معالمه فيها وفي الغرب والأندلس، وأشهر أعلامه بعد مؤسسه: محمد بن داوود، ابن المغلس، وابن سعيد البلوطي، وبقي بن مخلد أول من أدخله إلى الأندلس، ثم ضعف المذهب الظاهري، حتى جاء بن حزم الذي أحيا المذهب الظاهري ونشره بشدة. للمزيد ينظر: يونس بحري: الفقه المالكي في عصر الموحدين (515هـ- 668هـ/ 1116م- 1269م)، دراسة تاريخية واجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: صالح بن قربة، تخصص تاريخ وحضارة، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، نوقشت 2011- 2012م، ص 38- 39.

[223] – الناصري: المرجع السابق، ص 2013.

الذي حمل مؤلفات شيخه إلى مراكش أين عقد له الخليفة يعقوب المنصور مناظرة مع العلماء والفقهاء عرض خلالها مؤلفات شيخه التي أفحمت الفقهاء، وكان من شأن ذلك أن قال الخليفة بعد حضوره إلى المناظرة: «يترك هذا الرجل أبي زكريا يحيى الزواوي على اختياره، فإن شاء لعن، وإن شاء سكت»[224].

وعمل الفقهاء في تحريض العامة ضد المتصوفة كما حدث مع أبي يعزى اليعلاوي، فإن أهل حومة فاس أخرجوه منها وعللوا ذلك بدعوى أن أهل البدعة يأتون إليه ويضيقون عليهم بين ديارهم وتلحقهم منهم المشقة والمضايقة، فحاولوا الإيقاع به وطرده من داره[225].

وفعل الفقهاء بأبو عباس السبتي (ت 601هـ/1204م) إذ عملوا على نقده في عريضة شهد فيها جماعة أنه زنديق، وقدموا شكواهم إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فبعث الخليفة إلى الصوفي أبي العباس وجمعه بحضور القاضي[226].

ومن أكثر المسائل التي كانت تثير جدلا حامي الوطيس بين الطرفين مسألة "الكرامة الصوفية"، فإنها كانت تعظم وتزيد الصوفي مكانة في قلوب المجتمع من تقدير وإجلال، وما كان يضيفه العلم على متقلديه من الفقهاء، ولذلك عمل الفقهاء على إخراج المتصوفة الذين يتحدثون بالكرامات، وهو ما يترجمه قول أحد المتصوفة: «إن لله تعالى عبادا لو تكلموا بما استفادوا من مواهب الله تعالى، لأفتى هؤلاء الفقهاء برجمهم»، وهذا ما زاد من توسيع الفجوة بين الفريقين، ويخبرنا بن عبد الملك أن شيخة أبا الحسن الرعيني (ت 666هـ/1268م) كان يعظم الإنكار على ما يحدث به أبو العباس بن مطرف (ت 627هـ/1230م) من مكاشفات وكرامات بل قام بتزييف أقواله وتضعيف ما يحكى عنه[227].

---

[224] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 2013– 2014.

[225] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 432.

[226] – الصومعي: المصدر السابق، ص 242.

[227] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 431.

المبحث الثاني: نقاط الإتفاق والتقارب

على الرغم من العلاقة العدائية بين المتصوفة والفقهاء خلال العهد الموحدي، إلا أننا نلاحظ وجها آخر للعلاقة بينهما، بدأت تتضح هذه العلاقة أكثر مع نهاية (ق 6هـ/ 12م) وبداية القرن الموالي (ق 7هـ/13م)، وهي علاقة التقارب بين الفقهاء والمتصوفة، حيث أنه بالقدر الذي عن حادثة "إحراق كتب الأحياء" عن الافتراق وتوسع الفجوة بين الطرفين، فإن حادثة "إحراق المدونة" كانت مؤذنة بالتقائها على أكثر من صعيد، ذلك أن عهد المنصور الموحدي، ساهم في حصول نوع من التقارب بين الفريقين[228].

ويشير ابن الزياتعن علاقة التقارب بين المتصوفة والفقهاء، فقد كان المتصوف أبو الحسن نجا ابن عبد الله الأموي (ت 595هـ/ 1198م) مقصودا من أعيان أزمور، فلما ركب أبو الحسن نجا البحر من لبلة[229] إلى مدينة سلا، كان معه في المركب عبد السلام بن عبد الخالق الصنهاجي[230]، من أعيان بلد أزمور، فكلم صاحب المركب أن يحط ببلد أزمور، فلما عدل بمركبه عن مرسى سلا وتوجه إلى بلد أزمور هال البحر واضطربت أمواجه، وشاهدوا هولا عظيما فرجعوا إلى مرسى سلا وحطوا بها، فكان عبد السلام بن عبد الخالق الصنهاجي يزور أبا الحسن كل عام كما كان القاضي أبو الحسن علي ابن الحسين الصديني يكثر من زيارة المتصوف أبي الحسن نجا.[231]

ونلاحظ جانبا من التقارب بين الفقهاء والمتصوفة من خلال ما أبداه الكثير من متزهدة الفقهاء المجانبين للسلطة، من نزوع للانخراط في الحركة الصوفية، لذلك نجد في كتاب

---

[228] – لخضر بولطيف: المرجع نفسه، ص 432.

[229] – كورة لبلة في غربي الأندلس، ومدينة لبلة معروفة بالحمراء، أولية قديمة فيها آثار الأولين، وفيها ثلاث عيون، وهي سهلية جبلية بحرية برية، كثيرة الزيتون والشجر وضروب الثمار. ينظر: ابن الشباط، وصف الأندلس: تح: أحمد مختار العبادي، د.ط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص 145.

[230] – ابن الزيات، المصدر السابق: ص 358.

[231] – ابن الزيات، المصدر السابق: ص 358.

التشوف ما لا يقل عن ترجمة ثلاثين فقيها يصدق عليهم الاسم الصوفي، وهذا ما يؤكده أن أسرة بني عشرة[232] تراجعت مكانتها في عهد الموحدين مما إلى بعض أفرادها إلى الانصراف إلى حياة الزهد ومعاشرة أهل التصوف[233]، وبظاهرة صحبة الفقهاء لرجال التصوف نجد مثلا أن الفقيه أبا عبد الله الباجي الإشبيلي (ت 606هـ/ 1210م) من أخيار أبي يعزى.

كما كان الفقيهان أبو محمد بن ياسين الدغدوغي(ت 571هـ/ 1175م) وأبو محمد بن بكر الجراوي (ت 598هـ/ 1202م) من جملة من يتردد عن زيارته، كما كان الفقيهان أبي عبد البقار[234] (حي 586هـ/ 1186م) وأبي يحيى المواق[235] (ت 599هـ/ 1203م) يحضران بعض مجالس الصوفية[236] وكان من أصحاب أبي مدين شعيب الفقيه العالم أبو عبد الله بن حماد والصنهاجي (ت 628هـ/ 1231م)، وقرأ على أبي مدين شعيب كتاب "المقصد الأنسى في شرح أسماء الله الحسنى" من فاتحته إلى خاتمته[237]، بينما الفقيه أبو عبد الله الأزدي السبتي (ت 660هـ/ 1262م)عن تعاطفه من المنتمين إلى التصوف بأن أنفق عليهم جميع ما ورثه من مال عن سلف[238].

إن التقارب الذي عرفه متصوفة الفقهاء من جهة، ومتفقهة المتصوفة من جهة أخرى، لم يكن تقارب أشخاص فحسب، بل تعدى إلى أكثر من ذلك، إلى تقارب في المنهج

---

[232] – بنو عشرة: أسرة قديمة عريقة في المجد والرياسة والسؤدد والجود والكرم والعلم والفضل والأدب، تعدد فيهم الرؤساء والأمراء، والعلماء والقضاة والأدباء والشعراء، يلوذ بهم دووا الحاجات ويقصدهم المنكوبين. للمزيد ينظر: جعفر ابن أبي أحمد الناصري: سلا وربان الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر أحمد الناصري، د.ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2006م، ج1، ص 26– 27.

[233] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 433.

[234] – هو عبد الله بن ابراهيم بن حزب الله، من أهل فاس، يعرف بابن البقار، كان من أهل الفقه والحديث متحققا بالرواية والحديث عن رجالها عاكفا على التدريس. ينظر: ابن الآبار: المصدرالسابق، ص 159– 160.

[235] – هو ابو بكر ابن خلف الأنصاري الفقيه من أهل قرطبة، سكن فاس، يعرف بالمواق، كان حافظا حافلا فلا في علم الفقه والخلاف، ملازما للتدريس، ولي قضاء فاس وبها توفي سنة 599هـ. ينظر: المكناسي: المصدر السابق، ص 106.

[236] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 434.

[237] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 92.

[238] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 435.

والتصور، فهذا أبو مدين شعيب يقول: "طالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الأحياء[239]، فإن معاصرة أبا علي المسيلي كان مشغوفا بكتاب الأحياء، حتى إنه صنف على نسقه كتاب في علم التذكير سماه "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"[240]، وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب "الأحياء" وبه سمي أبا حامد الصغير[241]، وإذا كانت من توجيهات وتوصيات أبي مدين لأتباعه أن الملتفت إلى الكرامات كعابد الأوثان، فإن معاصره الفقيه أبا عبد الله الكتاني يقرر أن كرامات أبي يعزى نفلت منه، وتقرن الرواية المالكية بين أبي يعزى والفقيه أبي محمد بن عيسى التادلي (حيسنة 623هـ/ 1226م) في صورة أن ما فتح به على الثاني في حفظ المدونة- بعد استصعابها عليه- كان ببركة الشيخ الذي دعا له قائلا: فتح الله لك المدونة كما فتحها لسحنون[242].

وهذه الرواية تدل على التقارب بين المتصوفة والفقهاء، وأضحى اجتماع رسوخ القدم في التصوف وطول الباع في الفقه أمرا مألوفا، فقد كان عدد من الأعلام في العصر الموحدي فقهاء ومتصوفة في نفس الوقت، فهذا أبو إسحاق البلفقي (ت 616هـ/ 1219م) يقدر من كان صوفيا سنيا[243] ذا مقامات وكرمات، فإنه أيضا كان عالما فقيها أديبا شاعرا، شديد التمسك لمذهب مالك، لا يسمح من مخالفته في شيء[244].

ونلمس نوع من التقرب بين الصوفية على المذهب الظاهري، والصوفية على المذهب المالكي خلال العصر الموحدي، فهذا أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في بجاية ظاهري

---

[239] – الغبريني: المرجع السابق، ص 23.

[240]– لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص435.

[241] – الغبريني، المرجع نفسه، ص 33.

[242] – سحنون: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، ولد في رمضان 160هـ، يرجع أصله إلى بلاد الشام من أهل حمص، دخل به والده إفريقيا، إلا أن بعض المؤرخين يقول أنه ولد في إفريقية. ينظر: محمد زينهم محمد غرب، الإمام سحنون: تق: حسين مؤنس، د.ط، دار الفرجاني، القاهرة، طرابلس، لندن، د.س، ص 65.

[243] – لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 437.

[244] – المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج4، ص 106.

المذهب، ولما دخل بجاية في (597هـ/ 1200م) التقى بأبي زكريا يحيى الزواوي شيخ المالكية الصوفية، ويتضح من هنا أن المذهبية تختفي وتزول عندما يميل الرجل إلى التصوف[245].

لقد ساد علاقة المتصوفة بالفقهاء العداء والتقارب، وقد تموضع سبب العداء في اختلاف وجهات النظر بين الفريقين، فكان لكل منهم علم وتصور يستمد منه أصوله، وهذا مازاد من فجوة الخلاف، اما العلاقة الودية فنجدها في التقارب الذي ظهر بينهما على أكثر من صعيد وقد ولد هذا التقارب دور بارز زيارات بين الفريقين وهذا ما قلص من حدة الخلاف والجدير بالذكر أن للعقيدة الأشعرية دور في التقارب.

[245] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 214.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد عرض موضوع هذا البحث، والذي يدرس علاقة المتصوفة بالفقهاء خلال العهد الموحدي، وعلاقة هاتين الطبقتين بالسلطة ودورهما في العامة، نستخلص الى عدة نتائج أهمها:

– تميزت علاقة المتصوفة بالسلطة والخلفاء الموحدين بين الاحتواء والتنافر، وذلك تبعا لظروف التي مر بها الخلفاء الموحدين، فكان طابع العلاقة بين الخلفاء الموحدية المتصوفة طيبة في امور ومتوترة في امور أخرى، فقام الخلفاء الموحدين بتقريب المتصوفة منهم، حتى أنه كان من الخلفاء الموحدين صلحاء ومتصوفة وزهاد وهذا مقرب بين السلطة والمتصوفة، في حين ان هذه العلاقة الطيبة والجيدة لم تكن على الدوام، فقد نهج الخلفاء الموحدين اسلوب الردع على من عارضهم من المتصوفة، حتى انهقامت على السلطة الموحدية ثورات بزعامة وقيادة رجال منالمتصوفة.

– كانت للمتصوفة أثار جيدة في المجتمع، وذلك من خلال الادوار والمهام التي قام بها المتصوفة في المجتمع الموحدي، فكان لرجال التصوف دور في ترسيخ مبادئ الدين الأسلامي، وكذلك في خلال محاربة الفساد وردع للجريمة ومحاربة الافات الاجتماعية الغير أخلاقية، وكذلك في معالجة المرضى وقضاء حوائج العامة لدى خلفاء الموحدين، هذه الأدوار التي قام بها المتصوفة في المجتمع انعكست عليهم بالود والتقارب وحب العامة لهم.

– أما علاقة الفقهاء بالخلفاء الموحدين، فكانت تقريبا مثل علاقة المتصوفة مع الخلفاء، فعمل الخلفاء الموحدين على استقطاب فئة الفقهاء ودعوتهم في بلاطهم فكان البلاط الموحدي مزين بالفقهاء وكانت تتم فيه حتى المناظرات بين الفقهاء، كما قام الخلفاء الموحدين بالأحسان الى الفقهاء وعلوا مكانتهمعندهم فأكرموهموهنا تظهر العلاقة الجيدة والحسنة بين الفقهاء والخلفاء الموحدين، وعلى الرغم من العلاقة الجيدة بين الطرفين، ألا أنه يوجد من الفقهاء من عارض الخلفاء الموحدين حتى قامت ثورات على الموحدين من طرف

رجال فقهاء، هذا ما أدى بالعديد من الفقهاء الى محن عديدة كالقتل أو النفي والتهجير والتغريب عن بلادهم.

– ساهم الفقهاء في المجتمع الموحدي بأدوار عديدة كتعليم الدين الاسلامي والقيام بقضاء مصالح العامة، هذه الاعمال للفقهاء كانت من اسباب العلاقة الودية والجيدة بينهم وبين العامة ونتج عليها علاقة حسنة بين الطرفين، لكن تلقى الفقهاء المهاجمة والنقد من طرف بعض الشعراء.

– ان علاقة المتصوفة بالفقهاء، هي علاقة بين طرفين مختلفين في المنهج والتصور والتفكير، فهي علاقة أيديولجية بين فئتين في المجتمع الموحدي، ومن مواطن التعارض والاختلاف بين المتصوفة والفقهاء، في الأقول والأفعال، وكان التدوين من بين الطرق التي استعملت بين الطرفين في الرد عن بعضهما، كذلك المكانة التي نالها المتصوفة في العامة أزعجت الفقهاء، فإستعان الفقهاء على المتصوفة بالسلطة.

على الرغم من العلاقة السيئة والجدالية بين كل من الفقهاء والمتصوفة، إلا انه لم يمنع من وجود علاقة تقارب بينهما، ومن مظاهر التقارب تحول العديد من الفقهاء والى متصوفة وزهاد بعد تراجع مكانتهم عند الموحدين، وكذلك وجود ظاهرة صحبة الفقهاء للمتصوفة ومعايشتهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- القران الكريم

2- ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراش، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1990م، ج2.

3- ابن الشباط: وصف الأندلس، تح أحمد مختار العبادي، د.ط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

4- ابن القطان أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد المالك: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.ن.

5- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

6- ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج6.

7- ـــــــــــــــــــــــ: شفاء السائل في تهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1996م.

8- ـــــــــــــــــــــــ: المقدمة، مر: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م.

9- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1970م، مج3.

10- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.ن.

11- ابن عربي: ديوان ابن عربي، شر: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

12- ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نش وتص: محمد الفاسي، أدولف فور، د.ط، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

13- ابن منظور: لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.س.ن.

14- الإدريسي ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس أبي عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج2.

15- البيدق أبو بكر بن على الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، د.ن، دار المنصورة، الرباط، 1971م.

16- التادلي ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح، دار البيضاء، 1997م.

17- التلمساني ابن مريم: البستاني في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان، مر: محمد ابن أبي شنب، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

18- التميمي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م، الق1.

19- التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكاتب، طرابلس، 200م.

20- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، تر: محمد الامين الخانجي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، مج1.

21- الذهبي شمس الدين محمد بن احمد: سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج19.

22- السجلماسي ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج4.

23- السهروردي أبي حفص عمر: عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ج2.

24- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر: طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م.

25- ـــــــــــــــــــــــــــ: بغية الولاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ب، 1965م، ج2.

26- الصومعي أحمد التادلي: كتاب المعزى في مناقب اليخ أبو يعزى، تح: علي الجاوي، د.ط، مكتبة المعارف، الرباط.

27- عبد الرحمان السلمي: الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، ط2، د.م.ن، 1997م.

28- علي بن أبي الزرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ن، دار المنصورة، الرباط، 1972م.

29- الغبريني أبو العباس: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979.

30- القشيري أبو القاسم: الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، (د.ط)، دار الشعب، القاهرة، 1989م.

31- الكلاباذي أبو بكر: التعرف لمذهب أهل التصوف، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م.

32- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، د.ط، دار المكشوف، د.س.ن.

33- الحميري حمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في اخبار الاقطار، تح احسان عباس،بيرقت، لبنان، ط1، 1984.

34- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، د.ط، د.ن، الجزائر، 2007م

35- المدني ابن فرحون أبو الوفاء إبراهيم بن علي اليعمري: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث العربي، القاهرة، د.ط، 1976م، ج2

36- المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد زنيروآخرون، ط1، دار الغرب الإعلامي، بيروت، 1985م.

37- ــــــــــــــــــــ: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 207.

38- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، د.ط، بريل، لندن، د.س.ن.

39- مسلم: أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/ 875م)، صحيح مسلم، تح: نصر بن محمد الفارابي، دار طيبة، ط1، 2006م.

40- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد، محمد بن تاويث، د.ط، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الرباط، 1979، ج4.

41- ــــــــــــــــــــــــــ: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج2.

42- المكناسي أحمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، د.ط، دار المنصور، الرباط،

43- النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تح: نخبة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

ثانيا: المراجع

01- أبو حبيب سعدي: القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، مج2، 1988م.

02- أبو زهرة محمد: مالك حياته وعصره وآرائه وفقهه: د.ط، دار الفكر العربي، د.م.ن، د.س.ن.

03- أبي عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، ط2، مطبعة فضالة، المغرب، 1982م.

04- إحسان إلهي ظهير: التصوف المصدر والمنشأ، ط2، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م.

05- إسكان الحسين: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي(518-668هـ/1125-1270م)،د.ن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010.

06- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ج2.

07- البختي جمال علال: الحضور الصوفي بالمغرب والاندلس إلى حلول القرن 7هـ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م.

08- بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991م.

09- بنسباع مصطفى: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، تطوان، 1999م.

10- بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والاندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات، الاولياء)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

11- بولطيف لخضر: الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط.خ، دار الصديق، سطيف، 2015.

12- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، 2004م..

13- البيلي حمد بركات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م.

14- ترمنجهام سبنسر ، الفرق الصوفية في الإسلام، تر: عبد القادر البحراوي، د.ط، دار المعرفة الجامعية، لندن، 1994م.

15- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة، القاهرة

16- جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م.

17- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م.

18- الحسين بن محمد شواط: القاضي عياض علام الغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476هـ- 544هـ)، ط1، دار القلم، دمشق، 1999م.

19- الخطيب عبد الكريم: التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، ط1، دار الفكر العربي، د.ب.ن، 1980م.

20- الزحيلي محمد مصطفى ، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير، دمشق.

21- الزركشي عبد الله محمد بن ابراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1972م.

22- الشحات إبراهيم محمد منصور ، المدخل في الشريعة الإسلامية، د.ط، د.م.ن.

23- الصلابي علي محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي دولة الموحدين، د.ط، دار البيارق، عمان، 1998م.

24- طعيمة صابر: دراسات في الفرق،(د.ط)، مكتبة المعارف، الرياض، د.ب.ن.

25- ع حسين بد الله ، التصوف والمتصوفة، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.س.ن.

26- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي الموحدون: مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500هـ- 558هـ/ 1100م- 1163)، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.س.ن، ج5،

27- عبد العزيز بن عبد الله: معلمه التصوف الإسلامي، ط1، مطبعة المعارف، الرباط، 2001م.

28- عبد الله محمد بن اراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1872م.

29- عبد الله مراد حسين سيد: المتصوفة في الغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (404هـ- 668هـ/ 1062م- 1269م)، د.ط، د.م.ن، القاهرة، 1994م.

30- عواجي غالب علي ، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، المكتبة العصرية، جدة، ج1، 2001

31- كمال أبو مصطفى: جوانب الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الأوسط من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، د.ط، الإسكندرية، 2008م

32- المجريدي محمد عميم الإحسان: التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

33- محمد زينهم محمد غرب، الإمام سحنون: تق: حسين مؤنس، د.ط، دار الفرجاني، القاهرة، طرابلس، لندن، د.س.

34- المنوني محمد: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، 1989م.

35- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والاندلس، د.ط، دار الرشاد، القاهرة، 1997.

36- الناصري أحمد بن خالد: الإستقصاء لأخبار دول الغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح وتر: جعفر الناصري، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج2.

37- الناصري جعفر ابن أبي أحمد: سلا وربان الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر أحمد الناصري، د.ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2006م، ج1.

38- نويهض عادل: معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.

39- نيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م.

40- الوزان الحسن: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الاخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2.

ثالثا: الرسائل الجامعية

01- البشير غانية: ألأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين(479هـ- 635هـ/ 1086م- 1238م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: محمد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، نوقشت 2015م- 2016م.

02- بن عياش الطاهر: الفقهاء المالكية والسلطة الموحدية في المغرب الإسلامي (510هـ- 668هـ/ 1116م- 1269م)، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الحاج عيفة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، 2014- 2015م.

03- رغد سليم داود حبوش، الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، شخصيات منتخبة رابعة العدوية وعمر بن الفارض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف ناجي حسين جودة الكنعاني، قسم الفلسفة، كلية الأدب، جامعة المستنصرية بالعراق، نوقشت في 2009م.

04- شرقي نوارة: الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/ 1126-1268م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط كلية العلوم الإنسانسة، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، نوقشت 2007- 2008م.

05- فاطمة الزهرة جدو: السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين، مذكرة مقدمة لينيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط تخصص تاريخ وحضارة بلاد الاندلس: اشراف ابراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والاثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م

06- ليلى نجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (580هـ- 595هـ/ 1184م- 1195م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أحمد السيد دراج، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1979م.

07- يونس بحري: الفقه المالكي في عصر الموحدين (515هـ- 668هـ/ 1116م- 1269م)، دراسة تاريخية واجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: صالح بن قربة، تخصص تاريخ وحضارة، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، نوقشت 2011- 2012م.

رابعا: المجلات

علي قنبر الياس: أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين في المغرب والاندلس، مجلة التربية والعلم، المجلد 17، العدد 1، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم التاريخ، 2009م، ص88.

فهرس الأماكن والأعلام

فهرس الأماكن والأعلام

01- فهرس الاماكن

(أ)

أغمات: 27.

المرية:47.

إشبيلية:17، 22، 27، 23، 53.

إفريقية: 43.

الاندلس: 19، 20، 22، 28، 18، 21، 23، 24، 25، 26، 38، 39، 42، 47، 53، 54.

(ب)

بجاية: 19، 24، 27، 32،33، 39، 40، 45، 46، 53.

باجة: 54.

بلنسية: 42، 45، 46.

(ت)

تينملل: 16.

تلمسان: 16، 18، 19، 23، 27، 31، 32، 33.

(ج)

جزيرة طريف: 19.

الجزيرة الخضراء: 20.

(س)

سلا: 21، 38.

سجلماسة: 21.

سبتة: 19، 27، 40.

(ش)

شريش: 20.

شلب: 20.

(ف)

فاس:16، 19، 21، 22، 23، 27، 29، 30، 34، 42، 44، 47، 50، 54.

(ق)

قسنطينة: 19، 22.

قرطبة: 38، 40، 53، 55.

(م)

مراكش:18، 20،19، 21، 27، 28، 32، 35، 38، 39، 40، 42.

المغرب: 16، 18،19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 32، 36، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46.

ميرتلة: 56.

المشرق: 16، 23، 53.

مليانة: 44.

مكناسة: 44.

2- فهرس الاعلام

(أ)

إبراهيم الاغماتي: 41، 45.

إبراهيم الحكمي: 46.

احمد بن عبد الرحمان: 40.

احمد القرطبي: 42.

احمد بن بقي: 42.

الامام الغزالي: 13.

ابا عبد الله بن ماهر الحسيني: 44.

ابا محمد بن عبد الجليل: 26.

ابا عبد الله بن عروس الغرناطي: 54.

ابا الحسن الصيدني: 58.

ابن تيمية:08.

ابن عياش: 46، 47، 48، 50.

ابن قسي: 19، 20.

ابن هود: 20،21، 22.

ابن عربي: 22.

ابن حرزهم:34، 27.

ابن ابي الصقر: 38.

ابن مسعود العبدري: 41.

ابن حبيش: 42.

ابن الفرس: 48، 54.

ابن ابي الاصفر: 46.

ابن محرز: 53.

ابن رشد القرطبي: 44، 53.

ابن العسكر المالقي: 53.

ابن الجد الاشبيلي: 53.

ابن مروان الهمذاني: 42.

ابو العباس السبتي:18، 27، 29، 34.

ابو القاسم القشيري: 09.

ابو مدين شعيب: ،17،16، 23، 27، 34.

ابو زكريا يحي الصنهاجي: 16، 22، 24.

ابو وزغار: 23.

ابو الحسن المسيلي: 24.

ابو عبد الله محمد الناصر: 25.

ابو يعقوب المستنصر:18، 19، 25، 43، 44.

ابو يعزى: 23، 25، 31، 32، 33، 34.

ابو اسحاق التنسي: 29.

ابو العباس احمد الحراز: 32.

ابو الحسن الحرالي: 33.

ابو محمد عبد الله الزناتي: 33.

ابو القاسم القرطبي: 35، 38، 39.

ابو الحسن الاشبيلي: 38.

ابو الفضل بن محمد القسي: 39.

ابو الفضل التيفاشي: 41.

ابو العباس احمد بن الغماز الانصاري: 43.

ابو العباس احمد بن عيسى الغماري: 44.

ابو زيد البزناسني: 45.

ابو القاسم الميلي: 49.

ابو بكر بن خلف الداني: 46.

ابو الحسن التازفون: 46.

ابو اسحاق بن ابراهيم بن خلف: 46.

ابو محمد بن عيسى الفاسي: 47.

ابو الفتوح بن فاخر الاشبيلي: 47.

ابو زكريا يحي الزواوي: 33، 52.

ابو مروان الباجي: 53.

ابو المطرف بن عميرة: 42، 54.

ابو محمد عبد الكريم الحسيني: 44.

ابو العباس بن مطرف: 54.

ابو محمد الدغدوغي: 23.

ابي حفص الهنتاتي: 21.

ابي عبد الله الازكاني: 21.

ابي محمد بن القطان: 22.

ابي ابراهيم اسحاق الهزرجي: 32، 33.

ابي زكريا بن يوغان: 33.

ابي الوليد بن رشد الحفيد: 41.

ابي عبد الحق الاشبيلي: 41، 45.

ابي بكر بن زهر: 41، 45.

ابي محمد بن خليل السكوني: 45، 53.

ابي عبد الله المجاهد: 45.

ابي الحسن بن عبد العزيز البلنسي: 43 ،45.

(ت)

تيجلي ابن موسى الدغدوغي: 23.

تاج الدين بن حموية: 41.

(ج)

الجزيري: 49.

(ح)

حجاج بن يوسف: 38.

(د)

دواود بن سليمان: 42.

(ط)

الطاهر عمارة بن يحيلى: 46.

(ع)

عبد المؤمن بن علي: 16، 17، 19، 21، 37، 38، 39.

عبد الله بن الحجام: 18، 27، 30، 32.

عبد الله بن الحجاج: 29.

عبد الملك بن القطان: 38، 42، 47.

عبد العزيز بن مخلوف: 27، 28.

عيسى بن عمران: 42.

على بن محمد اللخمي: 41، 46.

عبد المنعم بن الفرس: 54.

(م)

المهدي بن تومرت:16.

محمد بن احمد بن عبد الله: 53.

محمد بن عيسى المومناني: 40.

محمد بن عبد الملك: 43.

محمد بن عبد الله بن الطاهر: 44.

محمد بن ابراهيم الحكمي: 46.

محمد بن علي بن مروان الوهراني: 47.

(ن)

نجبة بن بحي: 41.

(ي)

يعقوب المنصور: 17، 18، 23، 24، 41، 42، 43، 48.

يحي بن احمد بن خليل: 53.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات:.....

مقدمــة:.....أ

الفصلالتمهدي:

تأصيل مصطلح التصوف والفقه.

01: التصوف:..... 07

02:الفقه:..... 12

الفصل الأول:

تأثير المتصوفة بمن حولهم.

المبحث الأول:علاقة المتصوفة بالخلفاء. 16

المطلبالاول: علاقة الود والتقارب:..... 16

المطلبالثاني: علاقة التعارض والإختلاف: 19

المبحث الثاني:أثر المتصوفة في المجتمع..... 26

المطلبالاول:دور المتصوفة الديني والاخلاقي..... 26

المطلبالثاني:دور المتصوفة في محاربة الفساد..... 30

المطلبالثالث:دور المتصوفة في التكافل الإجتماعي..... 31

الفصل الثاني:

تأثير الفقهاء بمن حولهم

المبحث الأول:علاقة الفقهاء بالسلطة..... 37

المطلبالاول: علاقة الود والتقارب:..... 37

المطلبالثاني: علاقة التعارض والإختلاف: 45

المبحث الثاني:اثر الفقهاء في المجتمع..... 52

المطلبالاول:دور الفقهاء في التعليم وترسيخ الدين..... 52

المطلبالثاني: دور الفقهاء في قضاء مصالح العامة 53

المطلبالثالث:علاقة الفقهاء مع فئة الشعراء..... 55

الفصل الثالث:

علاقة المتصوفة بالفقهاء.

المبحث الأول:نقاط الإختلاف. 57

المبحث الثاني: نقاط التقارب والاتفاق..... 61

خاتمة:..... 65

قائمة المصادر والمراجع:..... 66

فهرس المحتويات:..... 76

فهرس الأماكن والأعلام :..... 83

تم بحمد الله